
هذه الليلة الطويلة
مسرحية
د. أحمد صدقي الدجاني
تقديم : مُزنة أحمد صدقي الدجاني

د . أحمد صدقي الدجاني

هذه الليلة الطويلة

هــذه الـلـيـلـة الـطـويـلـة

المــؤلــــــــف : د . أحمد صدقي الدجاني

الطبعة الأولى نوفمبر ٩٩٣

النــاشــــــــر : مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر

الجمع والصف الالكتروني: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر

٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيداع : ١٩٩١/٩٣٧٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N.977-5121-19-1

بسم الله الرحمن الرحيم

* إننا أمام عمل إبداعي يستحق منا الجهد المميز لإبرازه وتقديمه في صورته المثلى ، إن هذه المسرحية تتضمن كل العناصر والمبادئ الأساسية للعمل الدرامى (*من وحدة المكان والزمان .. والإيهام والشخصيات .. والصراع .. الخ*) ، ولكنها وقبل كل شئ تعالج قضية سياسية وفكرية تمثل جوهر قضايانا العربية بل والإسلامية إنها : قضية فلسطين ، ومن هنا تكمن أهمية العمل .. ويقف الحافز وراء إعادة نشرها .. رغم بعد المسافة الزمنية بين طبعتها الأولى .. وبين هذه الطبعة ..

عندما قررنا إعادة نشر هذه المسرحية وقفنا طويلاً أمام تساؤل مشروع قد يطرأ على ذهن القارئ كما حدث لنا بعد القراءة الأولى المتعجلة ، هذا السؤال هو : هل تصلح مسرحية سياسية أعدت في نهاية الستينيات – فيما بعد النكسة – لكي تنشر من جديد في مرحلتنا هذه – فى بداية التسعينات – ؟! وكيف يتوافق تناول المؤلف للقضية الفلسطينية حينذاك مع أبعادها وتعقيداتها المعاصرة الآن وبعد ثلاث حقب من التبدلات والمتغيرات والشخوص والمفاهيم ؟! .

إن الإجابة على هذه الأسئلة نلتقي بها مع ومن خلال قراءاتنا لهذه المسرحية ، فالجو العام الذي تنمو فيه الأحداث والشخصيات هو ما يعانيه شعبنا العربي وما يواجهه ويبدع في أساليب تلك المواجهة في الأرض المحتلة وفي مواجهة العدو الصهيوني ، والمحاور الفكرية الأساسية في صراع الشخصيات داخل جسد هذا العمل الأدبي هي

الأقلية – التي لا تنفصم لمغريات العدو وتعمل معه – في مواجهة القومية والعروبة – التي لا تنفصم عن الإسلام وتأخذ أشكال المقاومة السلبية أو المعنوية أو المادية – ، ولابد وأن تكون سخونة الأفكار وحيويتها متجسدة بوضوح في الجيل الجديد الصاعد ، ومن ثم فإن ذات القضايا ما زالت مطروحة · القدس عربية .. والحل عربياً .. والجيل الجديد – جيل الإنتفاضة – هو رمز المقاومة الساطع ، ولابد وأن تكون العروبة بالإسلام الجدار الذي يحتمي فيه ويركن إليه وينطلق منه كل الذين يحلمون بفلسطين زهرة بستان الحرية العربية .

الناشر

مقدمة هذه الطبعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على انبيائه ورسله وخاتمهم محمد بن عبد الله.

تصدر هذه الطبعة الثانية لمسرحية «هذه الليلة الطويلة» بعد مضي ربع قرن على تأليفها، ومضي عشرين سنة على صدور الطبعة الأولى، وقد دخل الصراع العربى الصهيوني الذي في إطاره تدور أحداثه مرحلة جديدة منذ انعقاد مؤتمر مدريد يوم ١٩٩١/١٠/٣٠.

قلت لنفسي قبل أن استجبت لفكرة إصدار هذه الطبعة «لقد شهدت السنوات الخمس والعشرون أحداثاً كثيرة، وتغيراً في عدد من المفاهيم، واختلافاً في زاوية النظر الى الماضى، ودخول جيل آخر الميدان. وطرأ أثناء هذه الفترة تطور في رؤية مؤلفها نفسه الذي كتبها وهو في شرخ الشباب بينما هو اليوم كهل على أبواب الشيخوخة». وانتهيت الى الاستجابة لأننى رأيت أن التطور الذي حدث في رؤية المؤلف بقي محكوماً بثوابت لم تتغير، يشاركه في التمسك بها كثيرون، كما رأيت أن من حق الجيل الجديد أن يتعرف على رؤية جيل سبقه، وأن يُطّل على بعض ما في الذاكرة التاريخية للأمة. ورأيت أن حدث انعقاد مؤتمر مدريد نفسه يدعونا الى تكثيف جهودنا لتحقيق تواصل العلم والمعرفة بين أجيالنا كي تنهض الأمة بمتطلبات الانتصار في هذا الصراع الممتد المفروض عليها. هذا فضلا عن أنني رأيتُ أن المسرحية عمل فني فكري يتضمن جوانب أخرى تتفاعل مع الزمن ايجابياً.

يسعدني أن تتضمن هذه الطبعة بحثاً عن هذه المسرحية والمسرح السياسي كتبته ابنتي مزنة عام ١٩٨٦ أثناء دراستها سنة أولى ماجستير بالجامعة الامريكية بالقاهرة، وقدمته لقسم الأدب العربي، ليكون بمثابة تقديم لهذه الطبعة. وقد ضمّنت مزنة بحثها بعض ما كتب عن المسرحية إثر صدورها، وقدمت رؤيتها لها كواحدة من ابناء جيلنا العربي الشاب.

بقي أن اشكر مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر عنايته بإصدار هذه الطبعة.

والله ولي التوفيق.

أحمد صدقي الدجاني
ربيع ١٩٩٢

قراءة منهجية فى مسرحية الدجانى

بقلم : مزنة أحمد صدقي الدجاني .

موضوع هذا البحث مسرحية سياسية عربية ألفها كاتبها من وحي نكسة ١٩٦٧ التي عاشتها الأمة العربية .
والمسرحية هى" هذه الليلة الطويلة " لأحمد صدقي الدجاني ويهدف البحث إلى تقديم فكرة عن المسرح السياسي العربي عموماً ودراسة هذه المسرحية السياسية العربية ، والتعرف من خلالها على رحلة البحث عن الذات العربية التي بدأت بفعل النكسة ، وعلى رؤية الواقع العربي كما بدا آنذاك قبل حوالي عقدين من السنين .
ويقول المؤلف في حوار أجراه معه الأستاذ / عبد القادر ياسين عن مكان هذه المسرحية بين أعماله الأخرى .. " في رحلة الكتابة كنت أستشعر دائما حاجتي إلى الكتابة الأدبية الوجدانية .. وسط انشغالي بالكتابة التاريخية والمستقبلية والكتابة السياسية .. وكانت لي محاولة في كتابة مسرحية سياسية اثر نكسة ١٩٦٧ م . ولعل أهم ما حققته بالنسبة لي أنها ساعدتني على أن أحقق التوازن لنفسي بعد تلك الهزة العنيفة التى أصبنا بها " .. والحق أن مسرحية "هذه الليلة الطويلة " جاءت حافلة بالأفكار والخواطر والتأملات التي عبرت عن نظرات كاتبها وفلسفته في الحياة عند كتابتها ..

إن للمسرح مكانة خاصة بين فنون الأدب باعتباره تعبيراً مكثفاً عن جميع زوايا الحياة الإنسانية ، لما تجتمع فيه من ألوان فنية مختلفة ومتعددة ، فهو يثير في المشاهد ما تعجز الوسائل الأخرى عن الوصول إليه . وهو محصلة جميع الفنون ، يجري فيه حوار حار بين المنصة والجمهور . وهناك رأي يقول أن المسرح هو أرقى الفنون وأعلاها شأناً في عملية التربية الشعبية ، فإذا كانت الفنون تربي أذواق الناس وتصقلها ، فإن المسرح يربي الأذواق والعقول وهو مناسبة للحوار والبناء والعمق الفكري ولإثارة الرأي. وقد أشار أرسطو إلى هذا عندما تحدث عن نظريته (*التطهير*) التي أبدى فيها دور المأساة في تطهير القلوب من الأمراض النفسية وكان اليونانيون القدماء يعون أن المسرح ليس مجرد عبث أو لهو ولكنه مؤسسة ثقافية لخدمة الوطن والشعب ، فهو لا يختلف عن الجامعة والمدرسة والمعبد . وعرف عنهم أنهم في أثناء حروبهم مع الفرس كانت تسبق كل معركة عروض مسرحية . فالمسرح مؤسسة تربوية ثقافية خطيرة الأثر عظيمة المغزى (١).

لقد عرف العرب في تاريخهم أشكالا من الفن المسرحي ، أحدها هو خيال الظل ، وأيا كانت قيمة الأشكال الأخري ، من أشكال الفن المسرحي التي لم تخل منها حياتهم على مر العصور في جوانبها المتعددة ، من ثقافية واجتماعية ودينية وسياسية ، فإن المسرح الذي يجربونه اليوم ، وينطلقون منه لتكوين المسرح العربي ليس شكلا متطوراً لما كانوا قد عرفوه من أشكال المسرح ، ولا نتيجة لما كان في حياتهم من أشكال الفن المسرحي ، وإنما هو نتيجة مباشرة لإطلاعهم على المسرح الغربي في القرن الماضي ، و محاولتهم نقله إلى مجتمعهم (٢).

---

(١) د. الملاح ياسر – الحياة المسرحية في فلسطين ص ٢٥٦ – مجموعة بحوث عربية
(٢) محبك .أحمد زياد– حركة التأليف المسرحي في سورية ١٩٤٥– ١٩٦٧ص٩دمشق

كان مارون النقاش أول من عمل المسرح العربي في الوطن العربي فقدم في بيته أواخر (١٨٩٧م) مسرحية " البخيل " وهي أول مسرحية عربية . ثم قام يعقوب صنوع ١٨٧٠م بدور بارز في إنشاء مسرح قومي نفذ من خلاله لقلب الشعب العربي ، وعبر عن مآسيه وآماله ، وتتابع رواد المسرح العربي ، وأتيح له فنان موهوب يجيد تأليف الأدوار وتلحينها وغناءها كما يجيد رقص السماح ، ذلك هو أحمد أبو خليل القباني (١٨٣٣- ١٩٠٢م) الذي تميز بأسلوب واضح يجمع الشعر والنثر والموسيقي ، أقام الصلة بين المسرحية الحديثة والأدب العربي القديم .

قامت الترجمة والتعريب بدور كبير في ازدهار الفن المسرحي وتقديمه لمختلف الفئات في الشعوب العربية ، وبخاصة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ثم نشطت حركة التأليف المسرحي في الوطن العربي وتفاعلت مع الواقع الاجتماعي والواقع السياسي ، واتخذت التاريخ مصدراً لها وكذلك الأسطورة . وبرز عدد من الأدباء أغنوا المسرح العربي وتنوعت لذلك الموضوعات التي تناولها التأليف المسرحي شعراً ونثراً .

قوي انشغال المسرح العربي بالأحداث الكبيرة التي عاشها وطننا وبالتغيرات الاجتماعية والسياسية التي حدثت فيه . فظهرت المسرحية السياسية تعبيراً عن تفاعل التأليف المسرحي مع الواقع السياسي ، وبرز فيها الاتجاه الخطابي العاطفي والاتجاه المثالي الانساني ، والاتجاه الواقعي الانتقادي (١) . ويتميز المسرح السياسي بأن الأفكار لا بد أن تستمد من الواقع ، لأن السياسة في الواقع ليست إلا موضوعاً كغيره من الموضوعات بالنسبة للفن . فالمسرح السياسي لا تقتصر

---

(١) محبك . أحمد زياد حركة التأليف المسرحي في سورية ١٩٤٥ – ١٩٦٧ ص٢٢.

وظيفته على تصوير الواقع الحياتي الحالي في المجتمع فقط وإنما تتخطى ذلك إلى توجيه المجتمع ومحاولة تغييره . فهو في عصرنا يعتبر بحق أداة من أدوات الثورة الاجتماعية (١).

لقد ولدْ المسرح بين العرب المحدثين " فنا سياسياً " منذ البداية وترى "تمارا بوتيتسينا " أن مسرح خيال الظل الذي عرفه العرب في الماضي قد قدم إمكانية ايجاد متنفس لكراهية شعوب البلدان العربية للغزاة الأجانب ، وبدأ يعرض هجاءه لعادات وتقاليد الأجنبي فكان له مضمون سياسي (٢) .

كانت (*الهزيمة العسكرية التي نزلت بالعرب في يونيو حزيران* ١٩٦٧ م) من أخطر الأحداث العربية المعاصرة ، وأشدها هولاً وأكثرها مرارة . وقد أصبح هذا الحدث موضوع عدد من المسرحيات التي تناولته . ويلفت النظر وفرة عدد هذه المسرحيات وظهورها في أكثر من قطر عربي ، وتنوعها من حيث أسلوب المعالجة .

لقد بدأ المسرح العربي الحديث بعد ١٩٦٧ مرحلة جديدة ، إذ أخذ يشارك في حوار الأمة العربية كلها حول ذلك التساؤل الكبير .. من نحن؟ إلى أين ؟ كيف ؟ .. وهكذا برز كأداة ثورية بالغة الأهمية من أجل تجاوز الهزيمة والتمزق والتخلف ، ومن أجل لقاء الإنسان العربي بأخيه العربي .. وقد تميز بأنه من خلال هذا اللقاء قادر على أن يتجاوز الحدود المصطنعة في الوطن العربي .

كان " لنكسة يونيو" أثرها في المسرح السياسي بوجه خاص ، حيث

---

(١) د. العشري أحمد – المسرحية السياسية في الوطن العربي ص ٤٦٠ .

(٢) المصدر السابق – ص ٥٧ .

طرحت أنواعاً من المسرحيات التي من شأنها أن تؤلم وتعذب الذات العربية ، كما أنها أسهمت إلى حد كبير في إبراز الشخصية النضالية للإنسان العربي الفلسطيني الفدائي المقاوم الذي يولد مع الشعب بكبت معاناته وآلامه ، فيستمد منه وعيه وخبراته . وقد ظهرت صورة الفدائي أقرب إلى الرجل العادي الذي نشأ وسط أكواخ المخيمات في مجتمع يسوده البؤس والفقر منه إلى البطل الأسطوري. فبدا إنسانا صاحب قضية يعي أبعادها تماما ، اكتشف الطريق الذي يوصله إلى تحقيق أهدافه لاسترجاع حقه .

واضح أن ظروفاً حضارية عربية استوجبت ولادة هذا المسرح السياسي، فقد كانت هزيمة ١٩٦٧ طعنة ظهر أثرها في كل مؤسسات الوطن العربي ومنظماته الفكرية حيث دلت على تهدم كثير من البنى الفكرية والسياسية العربية . وكان المسرح أكثر الأشكال تعبيراً عن هذا التهدم وعن عجز الأنظمة العربية عن إرشاد قواعد الديمقراطية في الداخل وتوحيد الجبهة في الخارج من أجل تحرير الانسان من الاستغلال وتحرير الأرض الفلسطينية والعربية .

لقد خضع المسرح بعد النكسة لمراجعة أساسية وبدأ يتخذ طريقاً جديداً لرؤياه ، فحاول إعادة اكتشاف الواقع العربي وكشفه والإسهام في تغييره بدءاً برسم الحاضر بكل تناقضاته لتحديد أفق المستقبل بنظرة مغايرة لما كان سائداً قبل الهزيمة ، . وشرع المسرح بالاستفادة من منهج التداخل والمباعدة والإغراب وكسر الحائط الرابع، كالإتجاه نحو المسرح الملحمي والتعليمي والتسجيلي مثل مسرحية " حفلة سمر من أجل ٥ حزيران " للسوري سعد الله ونوس ، و" النار والزيتون لألفريد فرج ، "وباب الفتوح "لمحمود دياب ، "ووطني عكا" لعبد الرحمن

الشرقاوي ، "وأغنية على الممر" لعلى سالم ، "وثورة الزنج" لمعين بسيسو و "بلدي يابلدي " لرشاد رشدي، وكثير .. مثل تجارب مسرح الشوك ، ومسرح الشعب في حلب ، ومسرح القهوة في مصر ،وتجارب مسرح الهواة في المغرب وهكذا بدأ المثقفون والمسرحيون بخاصة يفتحون أعينهم على الواقع وبدأت رحلتهم للبحث عن الذات العربية وعن الواقع العربي الذي نعيشه (١) .

***

مسرحية "هذه الليلة الطويلة "هي مسرحية عن فلسطين، هكذا عرفها ناشرها ، وهي " تناقش أهم قضايا معركة المصير التي تخوضها أمتنا العربية ضد الوجود الصهيوني الاستعماري في وطننا ، وتبرز صورة الصراع على مدى الأزمان بين قوى الخير وقوى الشر وتحاول تحديد طريق التحرير وفهم قانون الثورة " كتبها مؤلفها في العام الأول لنكسة يونيو - حزيران ١٩٦٧ وضمنها رؤياه لأبعاد الصراع الدائر في المنطقة، وعلى الخصوص الصراع الفكري الدائر وسط الأمة العربية حول المعركة . وفي المسرحية أبطال أنبتهم الواقع العربي خلال هذا القرن ، وأبطالها رموز لها أغوارها وسيستمتع القارئ في محاولته الغوص لسبر الأغوار واستكشاف الأبعاد .."

ويقول المؤلف في تقديمه القصير للمسرحية عند نشرها في كتاب ١٩٧٢ "هذه مسرحية تناقش بعض قضايا معركة المصير التي نخوضها ، باشرت كتابتها في مطلع عام ١٩٦٨ ، بعد مضي سبع شهور على هزيمتنا في حزيران - يونيو وفرغت من الكتابة في حزيران - يونيو ١٩٦٨ . لقد حفلت فترة الأعوام الأربعة الماضية بأحداث كشفت عن

---

(١) د . العشرى أحمد . المسرحية السياسية فى الوطن العربى . ص ٤٦١ .

وجود صراع فكري محتدم في أوساط أمتنا حول ما ينبغي عمله ، وهو الموضوع الذي ركزت عليه هذه المسرحية وتنبأت بوقوعه ،وكان من أهدافها أن تحذر من تفجره . وإذا كانت المقاومة التي سطعت شمسها عند المباشرة في كتابة المسرحية تعيش اليوم في أزمة ، فإننا لعلى ثقه من أن شعبنا قادر على الخروج من هذه الأزمة ، وعلى حماية مقاومته وتصعيدها لتبلغ مدى الثورة الشعبية الشاملة ، وهذا الهدف – هدف تصعيد المقاومة لتبلغ مدى الثورة الشعبية الشاملة – من أهم أهداف هذه المسرحية. لقد حرصت هذه المسرحية على أن تطرح الصراع الفكري الدائر في نطاق الأمة العربية بصراحة وأمانة ، وكانت رؤيا كاتبها ان هذا الصراع الفكري هو أخطر قضية تواجهها أمتنا ، وحسم قوى الثورة العربية له شرط أساسي لكسب معركة التحرير . ومن هنا ألحّ على كاتبها شعور بضرورة إخراجها في كتاب لعلها تساهم في عملية الحسم المطلوب ".

وكانت المسرحية قد نشرت على حلقات في مجلة الكواكب التي كان يتولي الناقد الأديب رجاء النقاش رئاسة تحريرها . وذلك في النصف الأول من عام ١٩٦٨ .

نحن إذن أمام مسرحية سياسية عربية ، السياسة هي شاغلها الأول ، وقد وصفها " أحمد أبو كف " في ختام حديثه عنها إثر نشرها بأنها " تناول جديد للتاريخ ، فالمسرحية بالإضافة إلى أنها تناولت أبطالا أنبتهم الواقع العربي ، وبجانب الأبعاد التي رسمها المؤلف لهؤلاء الأبطال .. فإنها أيضاً تعتبر تناولا تاريخياً بالفن المسرحي ... إن الذي يقرأ المسرحية ويغوص بين سطورها لن يتعبه البحث في أن يخرج ، حين

ينتهي بقراءة آخر صفحاتها من الإلمام بالقضية (١) الفلسطينية دون تقريرية وبدون سرد تاريخي ممل"

وليس غريباً هذا الانشغال بالتاريخ عند مؤلفها لأنه " دارس تاريخ " يكتب كما قال " أبو كف " من منطلق خلفية تاريخية واسعة قارئة ومحيطة بجوانب القضية التي عبر عنها هذا العمل الفني".

ولكن الأمر الذي لفت النظر وهو اختيار المؤلف الإطار المسرحي لطرح أفكاره . وقد فسر " علاء الدين وحيد " ذلك في مقاله عن المسرحية بقوله : "ولا شك أن تعقيدات القضية وروح العصر والحروب المتتالية التي خاضها العرب بكل ظلالها ونتائجها عملت على أن يتجاوز الكتاب القوالب التقليدية التي كانت تسمح في رأي الكثيرين بالمباشرة والصراخ الأجوف والحماس المصطنع – إلى القصة والرواية والمسرحية –(٢) كما فعل أخيراً د . أحمد صدقي الدجاني في (*هذه الليلة الطويلة*) ".

تأتي إذن مسرحية " هذه الليلة الطويلة " لتنضم لمجموعة المسرحيات التاريخية السياسية التي تعالج موضوعا من واقع الحياة كان له الصدى الكبير في نفوس الشعوب العربية .

وتجري أحداث هذه المسرحية على مدى ليلة طويلة من الغسق مروراً بمنتصف الليل حتي الفجر . وهي تقع في منزل أسرة فلسطينية بمنطقة القدس وتضم أربعة يمثلون أجيالاً أربعة وهم : الفتى يحيى الذي ولد اثر نكبة فلسطين ١٩٤٨ ، وأمه زينب الشابة التي تقترب من الكهولة وأبوه حسن الذي يكبرها بجيل ، وجدهُ لأبيه عليّ الشيخ الطاعن في السن .

---

(١) أبو كف أحمد. مجلة المصور العدد ٢٥٠٤ – كتاب جديد ص ٣٩ – اكتوبر ١٩٧٢م .

(٢) وحيد علاء الدين – مجلة الكواكب – مسرحية فلسطينية ص ٤٤ .

ومن خلال التعامل الجاري بينهم نعيش نبض تاريخ مأساة فلسطين في بداياتها منذ أن نضج الجد ابان الحرب العالمية الأولي إلى أن أفرخت المأساة نكسة يونيو ١٩٦٧ وابتلي الحفيد الشاب بسمومها وقد عالجت المسرحية موضوعها معتمدة على الوحدات الثلاث من مكان وزمان وموضوع .

إن بطل المسرحية يحيى واحد من أبناء جيل النكبة .. جيل الخيام والتشرد الذين ولدوا وسط عويل وصراخ حرب ١٩٤٨ التي كان فيها ما فيها من التفرق العربي والتجزئة العربية .. وأيضاً التناقضات العربية .. إن هذا البطل الذي يعبر عن جيل بأكمله قاسى ولا يزال يقاسي خلال هذه السنوات العشرين التي مضت على تلك النكبة بعد أن تمت مؤامرة الصهيونية والاستعمار العالمية وقد جاء أصلب عوداً ، وأوسع أفقاً ورؤية، وأكثر تصميماً وفهما للقضية . ويصف المؤلف يحيى بأنه فتى في شرخ الشباب ، طويل القامة قوي البنية وإن كان يبدو نحيلاً ، واضح الوسامة، رجولته مبكرة ، و فيه حرارة وصلابة ويوحي منظره بمزيج من الشاعرية والعملية . أبرز ملامح وجهه عينان سوداوان يعلوهما حاجبان كثيفان نسبياً سوادهما فاحم . يبدو عليه التعب . ويلبس كوفية وعقالاً على رأسه وقمبازاً (لباس أهل الريف في فلسطين) .. ونعرف من خلال الأحداث أنه طالب في إحدى الجامعات بجمهورية مصر العربية وقد قطع دراسته ليعود إلى وطنه المحتل للقيام بواجبه في مقاومة الاحتلال .

الأم زينب مهيبة الطلعة قوية الملامح توحي بالأصالة وعلى وجهها آثار تعب – تتمتع بشخصية قوية ، تزوجت صغيرة السن وهي تصف الفترة الأولى من زواجها وتعلقها بزوجها فتقول :" كم سعدت معه أيام زواجنا الأولى ، كنت قد أحببته بكل ما تملك فتاة غضة متفتحة مقبلة على الحياة

من قدرة على الحب وكم فرحت لزواجه بي ، أصبح عندي كل شئ .. تاج رأسي وعرق عيني ومحط آمالي - استطاع أن يفجر عواطفي وطاقاتي فزادت عندي حرارة الأمل .. كنت أحس أني قادرة وأنا معه على صنع الكثير واقتحام أكثر الأخطار .. كنت أحس أننا نستطيع أن نجابه أعتى القوى ونتغلب عليها لنصل إلى تحقيق أحلامنا .. أقبلت على الدراسة والإطلاع في تلك الفترة رغبة في الاستزادة من المعرفة ، حتى بدأت أشعر بالتباعد بيني وبينه الذي ازداد بعد خروجه من السجن وقد طرأ عليه تحول واضح جسَّم جوانب الضعف فيه .. ومع ذلك لم أيأس وبقيت أحاول معه فقد كنت أحبه .. أحب ذكرياتي معه ، حتى كانت الصدمة التي فجعتني به - عانيت فضيحة عش الغرام على شاطىء البحر الميت ، طوال حياتنا الزوجية كان يخونني .. ومع من ؟ .. مع ساقطة من يهوديات أوربا . انكشف لي على حقيقته فاتخذت موقفي وعالجت كبريائي الجريحة ، فصلت فراشي عن فراشه فلم يكن ممكنا ان أقبله بعد ما تلوث كدت أنتهي لولا ذلك الذي كان في أحشائي، من أجله تشبثت بالحياة - ولأجله نذرت نفسي"

الأب حسن كهل جاوز الخمسين ، حريص على مظهره ويتظاهر بالقوة ، يعمد في لهجته إلى الإيحاء بالثقة في النفس ومع ذلك فهو يستطيع أن يخفي حالة الضعف والإنهاك التي يعاني منها ، فهو يقاسي من الشك فيمن حوله ، يعد نفسه من المعتدلين الذين أوتوا من حكمة النضج ما يجعلهم يرون ضرورة عدم إغضاب القوي وأهمية إجابته إلى ما يطلب في سبيل أن يحصلوا للقضية على أي شيء نظير اسلوبهم اللين .. لذلك فهو يصادق الحاكم العسكري اليهودي شاجباً مبدأ المقاومة ،رافضاً المشاركة في دعوة مقاطعة اجتماعات قوات الاحتلال . تكمن مأساته في

أنه كان من جيل يحلم فهو يشرح تجربته فيقول: " كانت أحلامنا كبيرة ... الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، توحيد أمة العرب وبلاد العرب أوطاني من الشام لبغدانِ . ومن مصر إلى يمنٍ - إلى تونس فتطوان " اللحاق بمدنية الغرب . جاهدنا في سبيل هذه الأهداف ، وكنا أشداء في جهادنا . صبرنا على السجن والنفي . عشرات المرات أدخلت السجن ، حتى تعودت أن أبقي مستلزماته في حقيبة خاصة جاهزة دوماً للحمل .. سنوات وأنا أسير في هذا الطريق .. تلقيت خلالها أعنف الضربات وتحملت .. لم أكن أبالي بعسف السلطة وأنا أحلم بيوم النصر .. وكم منيّت النفس بأن حلاوته ستمسح مرارة تلك الأيام ، كنت واثقاً أنه قريب في أول الأمر ،، ثم لم تلبث أن تكشفت أمامي حقائق الواقع فزعزعت هذه الثقة .. وبدأ الشك يعتمل في نفسي .. كان أشد ما يؤلمني ذلك الصراع الناشئ بين المجاهدين أنفسهم .. فجابهتني الحقيقة المرة .. حقيقة أنني أحلم وأن أحلامي لم تتحقق ..العذاب الذي عانيته في عزلتي في السجن الانفرادي الذي وضعت فيه، من ألوان التعذيب النفسي التي مارسوها علي وامتهنوا بشريتي .. اقتنعت بعد ذلك بخسارة التضحية التي أبذلها .. بعدم جدوى السير في ذلك الطريق المجدب .. تبين لي عبث هذا الذي كنت أسميه جهاداً . صمدت أمام السلطات رغم ذلك العذاب المر صموداً حاروا في تفسيره .. ثم اكتشفت أنهم عرفوا من الآخرين كل الأسرار التي تحملت عذاب الهول لأصونها .. وعرفت أن جميع تضحياتي تضيع هباء .. ماذا لو كنت أكثر حكمة .. لو لم أحمل السلم بالعرض ؟ فمادمت لا أستطيع مجابهة النمر وجهاً لوجه ، فلماذا لا أداوره ؟ خرجت لأبدأ من جديد وأنا أكثر فهماً لحقائق الحياة ؟؟ "

الجد عليّ شيخ جليل أبرز ما يلفت النظر فيه وجه نوراني ولحية بيضاء

.. يمضي وقته جالسا على السرير الكنبة بين الصلاة والمشاركة في الحوار الدائر .. حديثه موجز ومن جوامع الكلم يفيض حكمة وروحانية شفافة . نعرف من الحوار أنه عاش قبل أن يتجزأ الوطن الكبير " على أيامي كنا وطناً واحدا لا حدود بين أجزائه " ثم شهد الحرب العالمية الأولي ونتائجها وفجع حين تكشفت (حقيقة وعود ولسن ومبادئه) ، وهو مدرك بعمق أبعاد الواقع الذي يعيشه وواثق من قدرة أمته على الصمود ويقول معبراً عن هذه الثقة :" لا مجال للشك يازينب حين نعي سنن الكون ، ونتابع حركة الحياة . وهكذا أكدت لك أننا قوم لا نصبر على ضيم .. وقدرتنا على الصمود هائلة . أوضحت لك أننا عرفنا النكسات مرات وعانينا من الهزائم مرات ولكننا كنا لا نلبث أن ننهض وننتصر وننطلق " .

هناك فضلاً عن الشخوص الأربعة ، الشباب الفدائيون السبعة الذين يظهرون في الفصل الثالث – الفجر – بعد غياب يحيى ليتابعوا دورهم في النضال .

تبدأ الأحداث عند الغسق .. " والجو ممطر عاصف والسماء مغطاة بغيوم كثيفة والرؤية غير واضحة " .. زينب تترقب وصول ابنها يحيى ، ويدور بينها وبين الجد حوار تعرب فيه عن خشيتها على ابنها من العدو الذي فرض منع التجول ليتربص بالفدائيين بعد الانفجارات التي أهتزت في المنطقة . يعرض الحوار صورة الواقع القائم بكل ما فيه من معاناة ، ثم أيام النكبة الأولى ومأساة زينب الخاصة .. يأتي حسن بعد أن يسمع صوت اقتراب سيارة ويدخل متجهم الوجه نتيجة إنذار الحاكم العسكري اليهودي له بشأن موقف ابنه يحيى، نفهم من الحوار أن حسن يتبني وجهة نظر العدو ويحكي بلسانه ، ويسمي مقاومة الشباب

تخريباً ، يتضح لنا ايضاً موقف حسن من ابنه " وددت أن أهيِّئه ليخلفني .. ليرث أموالي ومركزي ، رتبت له كي يصبح كما أريده ، شاباً يتعلم في أحسن جامعات امريكا – مضمون المستقبل " لكن الأمر خرج من يده" كما قالت زينب ، فهو لم يدرك الفارق الكبير بين عصره وعصر يحيى ، وأبى أن يفهم .. تبدو العلاقات متوترة بين الزوجين ويظهر تعاطف الجد مع زينب .. فمنطق حسن هو منطق الاستسلام والقبول بالأمر الواقع بينما منطق الأم والجد هو منطق المقاومة. وحسن بمنطقه يريد أن يعترف بوجود العدو ويقبل به ..وهو متحمس لبناء دويلة داخل الدولة بمساعدة أمريكا" أصدقاؤنا في الغرب ". يتفجر الصراع عبر الحوار بين تيارين يسيران في نمط متوازي في الأمة الواحدة .

منتصف الليل هو بداية أحداث الفصل الثاني حيث لا تزال الأم في انتظار وحيدها ، ومن خلال حوارها مع الجد تتضح لنا بعض أفكار الكاتب في أسلوب التربية – فهو يتبع أسلوب التجربة والخطأ في بناء الشخصية الذي يعطي احساساً بالثقة لدي الجيل ويولد القدرة على ضبط النفس ومنعها من الانسياق في الخطأ بعد التجربة .

يدخل يحيى متألقاً بروح الوطنية والثقة بالنفس ، يجلس لينال قسطاً من الدفء ويبدأ حواره مع والدته الذي من خلاله يصف وقع النكسه عليه وعلى جميع زملائه فهو يقول : " عانيت الكثير حتي وضحت الرؤية أمامي ، وعندها فقط أحسست براحة عظيمة ، ما كان أقسي الليالي التي أمضيتها في ذهول وأنا موزع أبحث عن طريقي .. بدأ الأمر حين بدت لي بوادر الكارثة في الساعات الأولي للهجوم الغادر ، واستفحل الأمر حين سقطنا سقوطنا العنيف وارتطمنا بالأرض يجللنا العار وتحيط بنا هزيمتنا النكراء .. في ذلك اليوم تعذبت عذاب الهول يأماه

وأنا أُمزَّق تحت وطأة الشعور بالإثم . أحسست أني مسئول عما حدث .. أحسست أني مسئول عما تكابده الملايين من آلام ومعاناة وكلما فكرت فيما حدث ازداد عذابي شدة .. حتي همتني نفسي أن أنهي هذا العذاب، وأضع حداً له بالفرار .. أهرب إلى عالم النسيان .. ولكني لم أستطع لأني لم أتعود الفرار .. بدأت الحساب ، فبرزت أمامي أسئلة كثيرة كتلك الأسئلة التي برزت أمامك ياجدي قبل عشرين سنه .كيف حدث الذي حدث ؟ لماذا حدث ؟ إن كان قد حدث ما يشبهه قبل عشرين سنة في عهود أدناها ولأسباب وعيناها ، فلماذا يحدث اليوم في عهدنا نحن ؟ كان الأمر بالغ القسوة في بدايته .. فقد بدا لي ياأماه أن الواحد منا نَزّاع إلى الهرب من مجابهة نفسه ، ميّال لتبرير أخطائه وللإنحاء باللائمة على غيره .. ولكن القسوة لم تستمر سرعان ما تلاشت أمام روعة الشعور بتزكية النفس ، وما يتبع هذا الشعور من انتشار نور اليقين . لم يفت الوقت ياأماه . خسرنا معركه ولم نخسر الحرب، سنعمل على إزالة العلل وسنتلافى ما كان من أخطاء ولن نفعل مرة أخرى ، ثم يصف يحيى كيف وصل لسبيله في تلبية نداء الوطن فيقول : " حددت مكاني في العمل ووضح لي كيف أعمل ، وجاء التحديد والوضوح بعد جهد بذلناه أنا وأصدقائي، كنا نلتقي يومياً في الجامعة . ساعات طوال أمضيناها في الحديث والنقاش حول ما ينبغي عمله . وفي أحد الأيام استبان لنا الجواب . كان عبد الرحمن عائداً من زيارة بلده السويس ، وكنا متحلقين حوله نستمع منه لآخر الأخبار ، حدثنا عن التهجير لتصبح المنطقة جبهة عسكرية ووصف لنا الروح التي لمسها لدى المرابطين هناك، وتحدث عن إعادة بناء القوات المسلحة العربية .. في ذلك اليوم ودعنا عبد الرحمن ليرابط هناك ، في السويس ، مع المرابطين كذلك أعلن

خالد زميلنا الصعيدي أنه سيلتحق بالجيش ضمن الفرقة الجديدة التي تضم المثقفين ، عرف الشباب دوره وكل حدد مكانه.. أما أنا ، ابن الأرض المغتصبة، من تشرد مرتين ، قررت أن أنهي مأساتي وأعود إلى أرضي ، أعود لأباشر العمل مع أخوتي ، قررت أن أبدأ من هنا .. يدخل الأب ويفاجأ بوجود ابنه الذي يحاول أن يقنعه بالمقاومة .. لكن الأب يتهكم بشدة على أفكار ولده ويصفها بالحلم الذي لا يتحقق ، بل أنه يحاول أن يقنعه بالسير في طريقه والإستفادة من تجربته . في الوقت نفسه يطلب يحيى من والده أن ينسحب من الاجتماعات التي يقوم بها الحاكم العسكري والقنصل الأمريكي ، ويساهم في إفشال مخططات العدو الرامية إلى إقامة دويلة ، وينفجر الصراع بين الأجيال في هذا الفصل ويبلغ ذروته عندما يحاول كل من الأب والابن أن يقنعا بعضهما البعض ، كل بوجهه نظرة وينتهي الفصل بخروج يحيى .

مع خيوط الفجر البيضاء يرتفع الستار عن الفصل الثالث وطلب أبو أسامة أحد الفدائيين- اللجوء للمنزل هو وبعض زملائه بعد أن أصيب ساق أحدهم بشظية . ترحب بهم زينب وتدعوهم للدخول وتناول الطعام، والفدائيون ستة شباب وفتاة - أخت الرجال - يمثلون الجيل الشاب في مختلف أنحاء الوطن العربي فأبو عيسى ، وهو واحد منهم ، مهندس ميكانيكي قد همَّ أن يصبح قسيساً بعد حزيران ، لكنه لم يلبث أن التقى ببقية زملائه وانضم إليهم وقد أقسم أبو عيسى أن يعود لوطنه ويهزم أعداء الإنسان ويزور قبر أبيه فقبل عشرين سنة ، وعند عودته لمنزله بصحبة أسرته ، بعد إنهاء صلاة الأحد اقتحم عليهم الباب أربعة من الهاجانا سلبوا ما عثروا عليه من نقود ومجوهرات ، ثم التفتوا إلى أخته - وكانت في السادسة عشر وأشاروا إليها أن ترافقهم . فصرخت الفتاة

ولاذت بأمها .. فتقدمهما أبوه الذي لم يلبث أن وقع ودماؤه تنزف ، عندها حاولت الأم وحاول أبو عيسى أن يحول بينهم وبين الفتاة ، لكن الأربعة نزلوا عليه وعلى أمه ضرباً بكعاب البنادق . عندما استيقظ أبو عيسى بعد أن عاد له وعيه وجد أمه وقد فقدت عقلها وأخته وقد هربت وأبوه وقد استشهد .

أما أخت الرجال فهي بَرَّاوية من يافا ، كانت في مقدمة الفتيات اللواتي عملن بعد النزوح . وضمن المجموعة هناك أبو درويش الذي نشأ واحداً من هؤلاء الذين عاشوا منفيين في أرضهم غرباء في بيوتهم ويلفت النظر نموذج " أبو عرب " ذلك الشاب العربي الملامح في الثلاثين من عمره لا يتحدث إلا العربية الفصحى وينتسب إلى الدولة العربية الواحدة ، ويؤمن" أبو عرب " أن التفاؤل النابع من الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومن دراسة التاريخ هو ما يساعده على حمل مسئولية التغير ، أما "أبو عدنان" فهو شاب بادي الرجولة والوسامة من سوريا، حلمه زيارة الجولان والقدس ، وأخيراً نموذج "أبو خالد" ذلك الشاب الأسمر الوجه الطويل القامة .. من صعيد مصر . أدي واجبه في اليمن وسيناء ثم انضم للمرابطين على طول القناة – وأخيراً تحقق حلمه ليكون واحداً من المـدافعين عن المسجد الأقصى .

يدور حوار غني بين الفدائيين وزينب إلى أن يظهر حسن الذي تبدو عليه الدهشة حين يرى هؤلاء الشبان . بعد أن يفهم وضعهم يتخذ قراره بأن يذهب للإتيان بالطبيب بنفسه . لكن زينب تشك في صدق نيته وتعمل على تحذير الفدائيين الذين يتحركون بسرعة ويتركون البيت بعد أن يشكروها . تزداد حركة الأحداث هنا وتسرع خطواتها ، فيسمع صوت أنفجار قوي تهتز له جدران الصالة وتتحرك صورة المسجد الأقصى من

موضعها، وتسقط صورة الأب على الأرض وتتحطم .
لقد تحطم الجسر وانفجرت السيارات العسكرية الثلاث ، ونجا الفدائيون من عدوهم وتتساءل زينب هل انتهى حسن بكل أفكاره ومعتقداته ، وتقول بأسى: " تمنيت أن يرجع مع الطبيب "ويقول علي :" نفذ السهم . لم يكن هناك مفر وانها البداية "وتتساءل زينب حول هذه البداية فيجيب عليّ بطرح رؤياه ويالها من رؤية .. "لاجدوى من الآمال ستسيل دماء غزيرة وتتغير أوضاع، يشيب الشباب قبل الأوان ، وتجف الدموع في مآقي الأمهات . ستتطهر ويفيق الرجل المضبوع فينازل الضبع ويتقدم صلاح الدين الصفوف فيصل الجهاد الذروة ، ثم تكون المعركة الفاصلة .. سنولد من جديد."
وها هي خيوط الفجر تظهر أخيراً لتخلق ولادة جديدة يتحقق فيها أمل العودة .

***

مسرحيتنا غنية الأفكار متنوعة ، الصراع خلالها يدور على عدة صعد . فهناك صراع بين العدو وبين الشعب العربي ، وآخر داخل الأمة الواحدة وثالث بين الأجيال في الأمة الواحدة . ومما يلفت النظر عمق الشخصيات فهي رموز لها أغوارها ، فزينب وهي الأرض العربية وأحياناً الشعب العربي . . وأحيانا أخرى فلسطين " استطاعت أن توحد الجهود من أجل التحرير "
أما حسن فهو جيل المحافظين المعتدلين الذين حاولوا أن يتفاعلوا مع واقعهم بصراحة .. ويأتي الجد بكل روعته ليمثل التاريخ أو القوة العليا فهو لا يتحدث إلا من جوامع الكلم أو من آيات الذكر الحكيم ، فهو الحاضر والمستقبل .

واخيراً يحيى ، بطلنا الذي مثّل رموزاً عدة ، فهو تارة حركة التحرير العربية ، وهو الثورة بكل قوتها ونضوجها بكل مآسيها ، ومما يلفت النظر حرص المؤلف على أن يغيب يحيى في الفصل الثالث وهنا أعطاه رمز قائد الثورة " الذي رحل بعد أن شق طريق الثورة ، ليتابع بعده مجموعة الشبان الفدائيون الذين هم نتاج جهد الأمة العربية وكفاحها ، وكأن المؤلف تشوف المستقبل الذي سيشهد هذا الرحيل .

إن رؤية زينب التي تصفها في الفصل الأول ليست مجرد رؤية أو منام عادي ، فهي تصفها وتقول : كنت راجعة من زيارة أهلنا في المخيم وأنا في حالة من الضيق الشديد و كان الطريق موحشاً وعراً يلفه برد قارس جمد أطرافي ، وددت لو أصل بيتنا بسرعة فغذذت السير حتي شعرت بالإرهاق بحثت حولي لعلى أجد من يعاونني فلم أر أحداً.. ناديت بأعلى صوتي فردد الصدى ندائي ولم يجبني سواه . ولكني شعرت بالجنين يتحرك في أحشائي حركات سريعة .. ثم يسكن وتابعت السير حتى رأيت بيتاً على جانب الطريق ، دخلته والتمست النار في الموقد فلم أر إلا الرماد ، ولم أجد أحداً ، وحين سارعت لإشعال النار شبّت النيران وفاجئتني بألسنتها تتصاعد حتي تبلغ السقف فجريت خارج المنزل والهلع يستولى على .. ناديت فلم يجبني إلا الصدى .. ولكني شعرت بالجنين يتحرك مرة أخرى وبقوة أعظم . اشتدت حركاته فآويت إلى جذع زيتونه قريبة لم أكد أستند إليها حتي جاءني المخاض ، وناديت بكل كياني وجوارحي .. فسمعت بكاء حاراً. كان وليدي يجيبني . وسمعت صوتاً يقول لي سمه يحيى .. هكذا تخيلت .

وفجأة رأيتك يا أبت واقفاً إلى جواري تبارك لي والبشر يملؤ وجهك، وقلت لي "سيكون له شأن يازينب فاعتني به واحذري عليه " ثم قلت انظري

الجميع يتطلعون إليك وإليه " .. نظرت حولي فرأيت عيونا كثيرة ترمقنا، وبقيت العيون تحدق به وهو يكبر .. كان فيها عيون تتطلع بأمل ، وكان فيها عيون تفيض بالكراهية والغدر .. رأيته يكبر ويأخذ بيدي في اتجاه الجبل ودعاني لنصعد إلى قمته ، وحين قطعنا شوطاً ظهرت فجأة تلك العيون المفعمة بالكراهية وأحاطت بنا فزلت قدم ابني ورأيته يتدحرج من أعلى سقط قلبي بين جنبي وركضت إليه أدفع عنه وكلي خوف ألا أقدر على ذلك.. فإذا بوجوه نضرة تسارع إلى وتحيط جميعاً به بأيد قوية، فيقوم ليتابع السير ونحن معه .. كانت عيناه وعيوننا ياأبت تشع بالعزم والتصميم على الصعود من جديد لتبلغ القمة .

من هذا الوصف يتضح الرمز .. فالرؤية تجمع بين الجانب الروحاني وتذكر بقصة العذراء مريم وولادة السيد المسيح عليه السلام ، كما تجمع الجانب الوطني – فزينب وهي الأرض تخلق قائدها الذي يصعد بها القمة على الرغم من التفاف الأعداء والحساد حوله .والألفاظ التي تدل على هذا كثيرة . "سيكون له شأن ، عيون كثيرة ترمقنا ، كان فيها عيون تتطلع بأمل وعيون تفيض بالكراهية والغدر، رأيته يكبر ويأخذ بيدي في اتجاه الجبل ، كانت عيناه تشع بالعزم والتصميم على الصعود لتبلغ القمة " فالرؤية كلها أمل بالمستقبل الناجح في ظل الوحدة النابعة من القائد الشجاع .

ويصل بنا المطاف إلى (اسلوب المسرحية) وقد قال عنه " أحمد أبو كف " في مقاله " إذا كان (اسلوب الرجل ، هو الرجل نفسه) فلقد كان اسلوب أحمد صدقي الدجاني صادقاً في تناول هذا العمل الفني وصادقا مع نفسه ، ومع وطنه ، ومع قضية العرب الأولى .. قضية التحرير والوحدة ، وقضية العمل الفدائي .. والحق أن المباشرة هي صفة

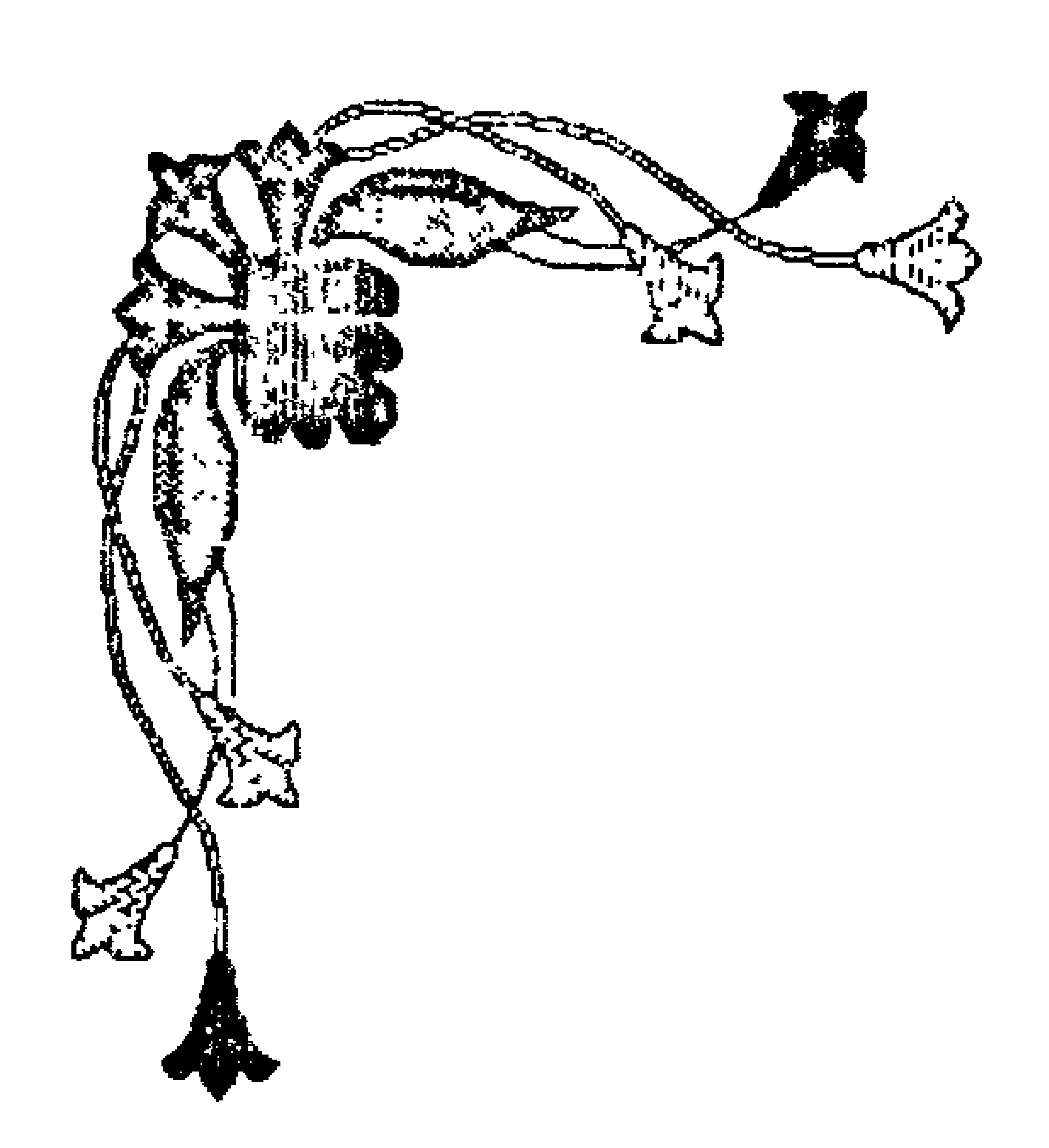
الأسلوب في هذا العمل المسرحي ، فالجمل القصيرة متناسقة تعطي شعورا بالقوة والمباشرة ويشعر القارئ بذلك عند قراءة هذا العمل . فهو محاولة جادة لموضوع جاد ، وإن لم تسنح الفرصة بتمثيل هذا الموضوع على خشبة المسرح . ولعل السبب يعود إلى قلة عدد الفرق المسرحية في وطننا العربي ، وانحسار الأعمال الجيدة أمام موجة الأعمال المسرحية السوقية .

لقد تناول كاتبنا ، دون أن يتحدث صراحة ، تاريخ فلسطين القديم وأهم معالمها ومدنها ، وتحدث عن جبل المكبر الذي كبّر المسلمون عليه وراء عمر بن الخطاب حين بدت القدس تلوح في الأفق . والحواريون المؤمنون، وتحدث عن الاحتلال الصهيوني وسكوت الآذان وصمت النواقيس والعنصرية الصهيونية .. تحدث عن كل شيء فيما يتصل بالقضية دون تقريرية، إلى الثورة الفلسطينية المسلحة التي بدأت تجرف أمامها كل العوائق .

عمل جيد .. وتناول جيد للتاريخ الذي لن يضيع وسط نار البارود عمليات الفدائيين داخل الوطن المحتل التي ستؤدي حتماً إلى التحرير والنصر

إن هذا الرأي في مسرحية (هذه الليلة الطويلة) صادر عن قراءة لها إثر نشرها عام ١٩٧٢ . فما هو الانطباع الذي يخرج به القارىء الشاب اليوم عند قرائتها وهو لم يعش بحكم السن تلك النكسة ؟!

أستطيع القول من خلال عيشي مع المسرحية بأني أمام عمل أدبي حافل بالأفكار والحقائق التاريخية وبالرموز ويتميز بالتشويق . وقد تجسدت أمامي من خلاله مأساة نكسة عام ١٩٦٧ ، ولا تزال القضايا التي عرض لها هذا العمل الأدبي الفكري مطروحة وهذا ما يحملني على القول بأن للمسرح السياسي فائدة في تصوير الصراع المحتدم على مختلف الصعد في مجتمعنا ، وفي حفظ وثائق تاريخية عن المراحل والأحداث التي يتناولها .



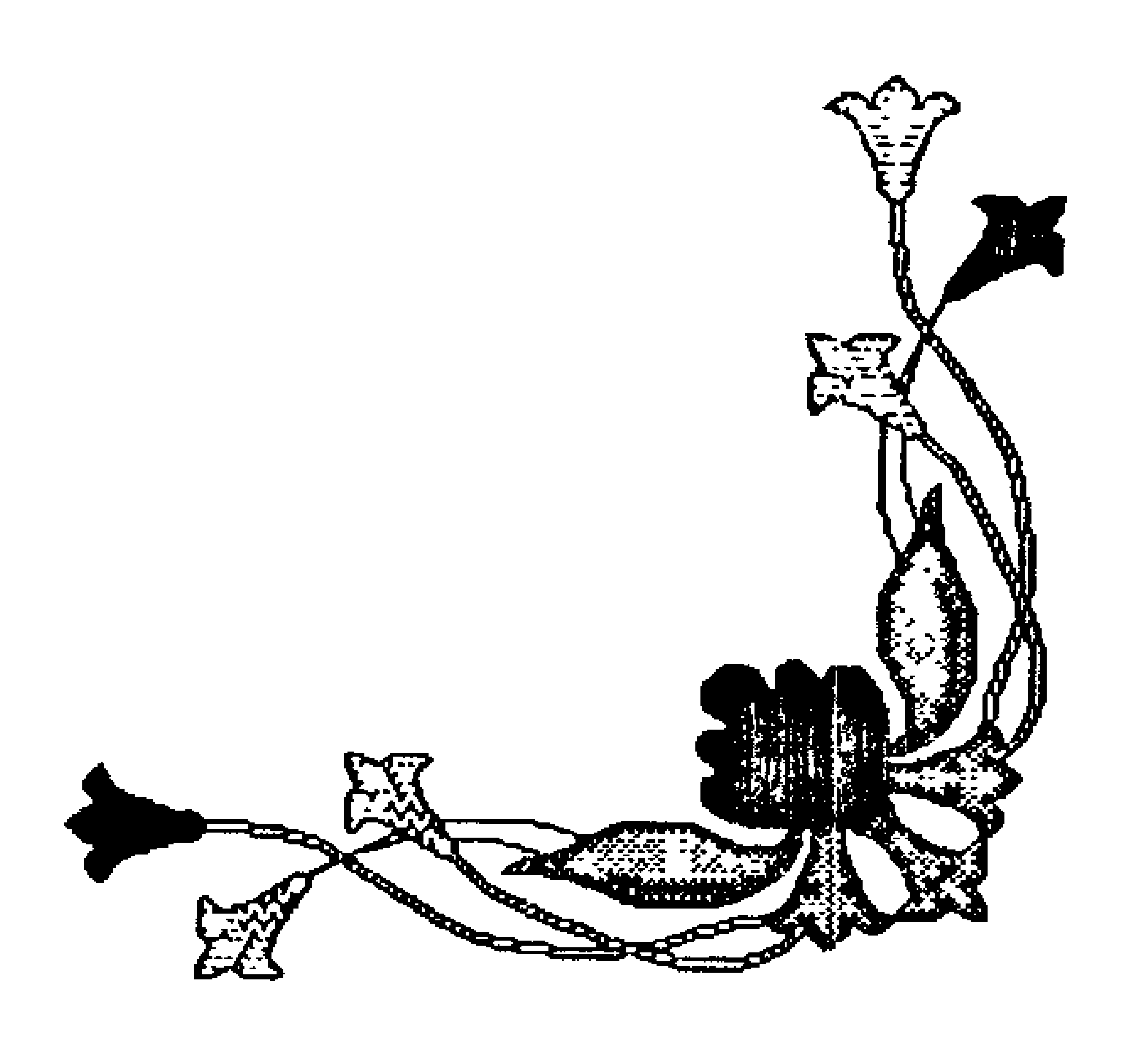
الإهداء

إلى أرضنا المقدسة التي باركها الله ..

أرض الآباء والأجداد ..

أرض الأولاد والأحفاد ..

إلى فلسطين ..



شخصيات المسرحية

يـحـــيـى : الفتي.

زيـــنـــب : أمـــه.

حـــســـن : أبوه.

عـــلــيّ : جده .. " والد حسن ".

أبو أسـامـة : الشاب الأول.

أبو عـيـسي : الشاب الثاني

أخت الرجال : الفتاة.

أبـو درويش : الشاب الثالث.

أبـــو عـــرب : الشاب الرابع .

أبـو عـدنان : الشاب الخامس

أبـــو خـــالد : الشاب السادس .

(من أبو أسامة إلى أبو خالد: فدائيون)

تجري أحداث الفصول الثلاثة في مكان واحد .. في فلسطين المحتلة بمنطقة القد صالة واسعة في منزل يتألف من طابقين مقام على رابية ، في الصالة نافذة كبيرة تطل على حديقة مشجرة وعلى طريق ضيق يؤدي للمنزل ينتهي بجسر صغير يصله بالطريق العام .

وفي الصالة ايضاً باب يؤدي إلى بقية غرف الطابق الأول ، وباب آخر هو مدخل الدار ، وهناك سلم يقود إلى غرف النوم بالطابق العلوي .

أثاث الصالة يكشف عن ثراء ، أبرز ما فيه طقم كنبات أنيق يضم كنبة مفردة تتميز بكبر حجمها ، وهو موضوع على مقربة من المدفأة المبنية بالجدار ، وعلى يمين المدفأة سرير- كنبة ، وهناك صورة كبيرة معلقة على الجدار لرجل كهل وجيه يحمل سلاحه ، وتقابلها على جدار آخر لوحة زيتية لمدينة القدس يتوسطها المسجد الأقصى .

تجري الأحداث في مستهل عام جديد ، والمدى الزمني لها في الفصول الثلاثة سواد ليلة واحدة من الغسق حتي طلوع الفجر .

لا تغير في المنظر خلال الفصول ، كل ما هناك أن الإضاءة تختلف فيه من فصل لآخر تبعاً لتغير الوقت .

الفصـــل الأول

" الغسق "

يرفع الســتــار على الأم (زينب) وهي واقـفــة قـرب النافـذة الزجاجية تتطلع إلى بعيد ، وتبدو الأم كهلة مهيبة الطلعة قوية الملامح توحي بالأصالة وعليها آثار تعب ، ويكون الجد (عليّ) يصلي جالساً على السرير – الكنبة ، وهو شيخ جليل أبرز ما يلفت النظر فيه وجه نوراني ولحية بيضاء ، ويبدو من المنظر عبر النافذة أن الجو ممطر عاصف والسماء مغطاة بغيوم كثيفة والرؤية غير واضحة ، ويسمع صوت زخات المطر مختلطاً بصفير الريح ويكون المنظر معتماً فالوقت هو الغسق .

زينب : (*تحدث نفسها بصوت مسموع*) أتوقع أن يأتي هذا المساء (*تنظر عبر النافذة متفحصة ثم تتابع الحديث كأنما تؤكد لنفسها*) لابد أن يأتي .

عليّ : (*يختتم الصلاة بالسلام*) السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله (*ويتمتم بأدعية ما بعد الصلاة*).

زينب : (*ترفع صوتها وتتجه بحديثها إلى الجد*) قلبي يحدثني أن يحيى سيأتي هذا المساء يا أبت ، ولكني لا أرى له أثراً (*تشير إلى النافذة .. وتضيء الصالة بنور البرق ثم يسمع قصف الرعد قوياً*) أفٍ ما أسوأ هذا الطقس .. أسبوع بطوله أيامه أعوام والجو على هذا النحو .. مطر منهمر لاينقطع يكاد يغرق كل شئ ، وعواصف عاتية توشك أن

تجتث ما على الأرض ، وموجة صقيع جائمة تأبى أن تتزحزح تجمد الدماء في العروق ، والأ نكى هذا الضباب الذي يخنق الهواء ويحجب الرؤيا حتى في ساعات النهار، فكيف به ساعة الغسق .

علـيّ : (*ينظر باتجاه النافذة*) انه لطقس سيء .. (*يصمت هنيهة وينقل نظره من النافذة إلى الأم*) فتانا سيأتي في موعده يابنيتي .

زينب : (*بقلق ظاهر*) أخشي أن يتأخر فيكون عرضة لأخطار الليل .. خاصة هذه الليلة ، لابد أن دورياتهم تجوب الآن المنطقة بحثاً عن الفدائيين بعد انفجارات اليوم (*تسير في الصالة جيئة وذهاباً*).

علـيّ : يالها من انفجارات ، لقد اهتزت لها المنطقة (*يصمت لحظة*) ذكّرتني بمثيلات لها دوّت في أذني منذ ثلاثين عاماً.

زينب : انفجارات مباركة طال انتظارنا لها (*صوتها يشي بشيء من السرور، ولكنها لا تلبث أن تستدرك بصوت يشي ببعض الخوف*) ولكنها تجعل جموعهم في حالة عصبية. ماأسرع ما يطلق جنودهم النار لدى سماعهم أي صوت في الليل .. على أي شيء .. (*تصمت لحظة*) في الأسبوع الماضي قتل أحد السائحين الأجانب ولم يكن يعرف بمنع التجول ، (*تتجه بنظرها نحو النافذة*) كم أخشى على فتاي هذه الليلة وهو في طريقه إلينا ، فهو لا يحمل إذناً بالتجول .. وقلبي يحدثني أنه سيأتي .

عليّ : لم يحصل على إذن بالتجول .. (*يبتسم*) رفض أن

يتوسط له أبوه لدى الحاكم العسكري للحصول على التصريح .

زينب : (*بمرارة*) وأبوه قادر على التوسط (*تنظر إلى صورة الأب*) وقد حصل على تصريح منذ الأيام الأولى ، كان يتأخر خارج البيت كل ليلة على الرغم من منع التجول ، وكنت أسمع صوت سيارة تأتي به في ساعة متأخرة وأنا في غرفتي أعاني من الأرق الذي استولى على منذ الفاجعة .

عليّ : (*ينظر في عيني الأم*) رأيته يابنيتي في كل المرات (*تحوّل الأم عينيها عن الجد وتسير ناحية النافذة*) .

زينب : (*بقلق ظاهر*) ما أسوأ هذا الطقس .

عليّ : تعالى واجلسي معي بجوار المدفأة .. سيأتي يحيى في موعده فلا تتحرقي .. تعالى ياأم يحيى .

زينب : ولكنه قد يصل في أية لحظة ياأبت ، وأنا أحب أن ألمحه وهو قادم من بعيد ، وأسمع وقع أقدامه وهو يقترب .. أحب أن أعيش هذه اللحظات .

عليّ : لن يتيح لك الطقس السيئ ذلك فالجأي إلى بصيرتك وقلبك وتعالى اجلسي .

زينب : (*تجلس بجواره*) وقلبي يحدثني أنه سيأتي هذا المساء ، إن قلب الأم لا يخطئ التقدير ، (*تصمت لحظة*) لقد مضى عليه هذه المرة شهر بطوله .. شهر أيامه أعوام .

عليّ : غيابه يطول المرة بعد المرة كأنه آثر أن يتدرج معك .

زينب : نعم .. لم يشأ أن يفاجئني بالأمر مرة واحدة ، مع أنني

قادرة على فهمه وتقبله ، في المرات الأولى كان يغيب بضع ساعات في الليل دون أن يشعر والده ، ثم صار يمضي الليل بطوله ويحرص على تغطية غيابه (*تصمت لحظة وتقوم من مجلسها لتسير في الصالة*) وفي هذه المرة أخبرني أنه سيغيب وقد يطيل .. ولم يعد ممكنا إخفاء هذا الغياب .

علـــيّ : لا عليك .. ألم تزوديه بدعواتك ؟ أطمئني إذن .

زينـب : دعـــواتي ! هل أبخل بهـــا وأنا أود أن أبذل له كـل مابوسعي (*باخلاص*) لقد رجوته أن يحدد ما يريده مني لأسارع إلى تقديمه ، فطلب الرضا والدعاء ، (*تتابع حديثها بصوت مفعم بالمحبة والتأثر والأمل*) وددت أن أعرف ماذا يفعل فسألته ، لم ينطق بكلمة أول مرة .. ولكني رأيت في عينيه كلاماً كثيراً ففهمت .

علـــيّ : ولكنك لم تلبثي أن سألته مرة أخرى .

زينـب : أردت أن يطمئن قلبي .. ولكني ما أن نظرت في عينيه حتي ألفيت نفسي أصمت وأنحني لأقبله .. كان جالساً على هذه الكنبة (*تشير إلى إحدي الكنبات*) وجهه يفيض بالعزم وعليه مسحة من الحزن ، وقبل أن يغادر رجوته ألا يطيل ليمضي العيد معنا ، فوعدني ألا يطيل كثيراً ولكنه قال بألم " أي عيد ياأماه "، وخرج وهو يقول " سيأتي يوم نحتفل فيه بالعيد " خرج بعد أن لثم يدي ونظر إلى لوحة القدس (*تشير إلى اللوحة*) ومر العيد دون أن يرجع .

علـــيّ : ياله من عيد ذلك الذي مر بنا في الأسبوع الماضي .. لم

يلتق الفطر والميلاد منذ حين إلا في هذا العام الكئيب .. فى هذا الطقس السيئ

زيـنـب : وحرنا فى أمر هذا العيد ، أنحتفل به ونحن على هذا الحال كما تعودنا أم نتوارى منه خجلاً إلى أن نزيل العار الذى يجللنا ؟

عـلـيّ : كان لابد أن نرعاه على الرغم من كل ما حدث من أجل قدسنا وتراثنا .

زيـنـب : عيون الملايين كانت تتجه إلى القدس الحزينة صبيحة ذلك اليوم .

عـلـيّ : واتجهنا نحن هنا إلى الحرم بأنفسنا (يقوم من مكانه بصعوبة ويتجه نحو صورة القدس) وفى رحاب الحرم رددنا تكبيرات العيد (يعلو صوته يصاحبه صوت كورس جماعى) " الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله إلا الله .. الله أكبر ولله الحمد .. الله أكبر كبيراً .. والحمد لله كثيراً .. وسبحان الله بكرة وأصيلاً " .

(يخفت صوت الكورس ويتابع الجد وهو فى مقدمة المسرح) ،

نعم يابنيتى حمدناه فهو الذى لا يحمد على مكروه سواه ، وسبّحناه فهو أهل للتسبيح ، وتابعنا الأنشودة الخالدة (يتابع بانفعال واضح صوت الكورس) :

" لا إله إلا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده .. وهزم الأحزاب وحده " .

أنشدناها على الرغم من هزيمتنا النكراء .. ولم نتمالك

أنفسنا فأجهشنا بالبكاء (*يتهدج صوته ويصمت لحظة*)
وحين وقف الشيخ يخطب العيد وباشر التكبير خنقته
العبرات فلم يستطع إكمال التكبيرات ، فناديناه " الصبر
.. الصبر ياشيخنا .. الصبر " ناديناه ونحن نبكي ،

زينب : (*بتأثر بالغ*) أي عيد هذا .. صدق يحيى ياأبت .. ليس
لنا أن نحتفل بالعيد .. ليس لنا عيد هذه الأيام .

عليّ : (*متابعاً حديثه*) لم يستطع الشيخ أن يتابع.. لم نستكمل
الصلاة .. فتركت الجمع إلى الطرف الجنوبي من ساحة
الحرم .. وقفت هناك أتطلع في كل الجهات، كانت السماء
مكفهرة .. كانت تبكي .. كل ما حولي رأيته يبكي .. جبل
المكبر وأولئك الذين كبروا من على قمته وراء عمر حين
بدت لهم القدس .

زينب : (*مرددة*) عمر بكى .. وبكى صحبه .

عليّ : (*متابعاً*) وجبل الزيتون والمعلم السيد وحواريوه والذين
آمنوا بهم.

زينب : (*مرددة*) المعلم بكى .. وبكى الحواريون والمؤمنون .

عليّ : (*متابعاً*) وجبل المشارف .. وسور المدينة العظيم .وداوود
.. والصخرة المشرفة .. والبراق .. والصحن الكبير ..
وكنيسة القيامة .. وملايين الأخيار على مدى العصور
والأزمان ممن عرفوا هذه الأماكن وأحبوها .. زاروها أو
جاوروها أو اختلط رفاتهم بترابها .. أرواح هؤلاء جميعاً
كانت تبكي (*يصمت لحظة ويلتقط نفسه*) وغادرت الحرم
عائداً فالتقيت بجارنا أبي عبد الله .. كان راجعاً هو

الآخر من كنيسة المهد .. لم يدخلها، رأي جنودهم تحيط بها .. (*يبدو كأنه يصحو من رؤيا ويتابع بحزن موجع*) لم تعرف مدينتنا مثل هذه الأيام .. في كل محنها السابقة .. لم تعرف .. (*يجلس على السرير – الكنبة*).

زينب : لقد تدنست قدسنا بأبناه (*يضيء البرق في الخارج ويليه صوت الرعد*).

عليّ : سقطت مرة أخرى .. سكت الأذان وصمت الناقوس عند سقوطها..

زينب : وحين عاد الأذان يتردد وعاد الناقوس يدق كانت الأصوات تختلف .. (*كأنها تصغي*) أصوات يختلط فيها نداء هامات بالثأر ونواح أصوات بالعويل .

عليّ : (*بحرارة*) القدس أصابها الرجس ومرغها الدنس والكل يبكي.

زينب : (*بانفعال*) لن تكفي الدموع لتطهير الرجس وإزالة الدنس .. لن تجدي .

عليّ : نعم .. لن تجدي .. لقد غسلنا بها آثار الغزاة التي لطخت الحرم .. فلم تزل الآثار ولم تنمح ، ولا تزال أماكننا المقدسة ملطخة تئن وتجأر ، تتوق أن تتطهر .

زينب : (*بتصميم*) يجب أن تتطهر .. ويتحرر التراب المغلوب .. يجب (*تتجه إلى النافذة وتنظر إلى بعيد*) لعله يصل بعد قليل (*يضيء البرق ويليه صوت الرعد*) ولعل الطقس يتحسن (*تصمت لحظة*) لم أشهد في حياتي أياماً بهذا السوء .. حتي تلك التي شهدناها قبل عشرين عاما .

علـــيّ : قبل عشرين عاما .. أيام النكسة الأولى يازينب .

زيـنـب : أتذكر كيف اكفهر الجو فيها وساء الطقس وهجمت موجة صقيع قاسية لتزيد جميعها من حدة المصيبة التي حلّت .

علـــيّ : هكذا المصائب دوما .. تحلّ مرة واحدة .. تحمل بها الأيام شهوراً وسنين ثم تضعها مرة واحدة .. ونعاني نحن آلام المخاض .

زيـنـب : وأي آلام .. (تتذكر) في تلك الأيام خرج كثيرون في الصيف .

علـــيّ : كما خرج كثيرون في الصيف الماضي .

زيـنـب : وضاقت المدن والقرى بهم فسكنوا خياماً نصبت لهم في العراء .

علـــيّ : وها هي تنصب مرة أخرى .

زيـنـب : وحين هجمت موجة الصقيع في ذلك الشتاء المبكر ومعها المطر والريح أغرقت الخيام ومزقتها واقتلعتها فتشرد المشردون (*تنفعل بالذكريات*) لن أنسى تلك الأيام ياأبت .. بقيت رعشة البرد القارس التي أصابتني فيها تلازمني وتعاودني كلما ذكرتها .. كنت أطوف بين المخيمات أزور أهلي فأعاني من البرد الذي جمد أغصان الشجر ، وكان يلح عليّ السؤال .. لماذ حدث ما حدث ؟ لماذا تحل بنا هذه الكارثة ؟ .

علـــيّ : السؤال الخالد .. لماذا ؟ نعم لماذا ؟

زيـنـب : كنت أحس بالغضب في أعماقي جمرة تحرقني ، وأحيانا تهب عليّ ريح اليأس فتوشك أن تقتلعني من جذوري وتكاد

تجفف دمائي .

عـلـــيّ : وما أبرد ريح اليأس وما أغبرها .. اليأس هو الموت في الحياة والإنسان يطلب الحياة بعد الموت وفي الموت .

زيـنـب : أنقذتني من اليأس في تلك الأيام الحياة التي كانت تدب في أحشائي .. كنت كلما تذكرتها يعمني هدوء وتنزل السكينة على قلبي .. وأشعر بالدفء ويصفو تفكيري ... نعم يا أبت .. كنت حاملاً به في أحشائي ، وكنت أحس أنه يشاركني تساؤلاتي وآلامي ويحمل إلى معه حياة جديدة تعوضني عما أصابني .. كنت حاملاً بيحيى .

عـلـــيّ : لطف الله بك يابنيتي .. كانت أياماً قاسية ، كم شغلت فيها عليك .. كنت أرجو وأتوقع أن تصمدي وتعالجي جراحك بنفسك .. كان هذا شأنك مذ عرفتك .

زيـنـب : أصابني الكثير في تلك الأيام ياأبت .. النكبة العامة بكل ما تضمنته من آلام ومأساتي الخاصة (*تنقل بصرها بين الصورتين*) وما خلفته في نفسي من مرارة .

عـلـــيّ : عم المصاب الجميع .

زيـنـب : كان من الممكن للنكبة العامة أن تنسيني مأساتي الخاصة لولا الصلة الوثيقة بينهما ، لذلك كانت فجيعتي أكبر.. (*تقترب من صورة زوجها وتهز رأسها بحزن*) كنت قد أحببته بكل ما تملكه فتاة غضة متفتحة مقبلة على الحياة من قدرة على الحب ، كم فرحت لزواجه بي ، ولقد شاركت في اختياره ضمن حدود ظروفي وقتذاك ، (*تتأوه*) وأصبح عندي كل شئ .. تاج رأسي وعرق عيني ومحط

أمالى ، كم رددت اسمه حسن .. كان حسن كل شئ (بتحسر) .

علـيّ : كان محط آمال الجميع (*بحزن*) وكانت الآمال كبيرة .

زينب : كنا نريد أن نبني .. لنعوِّض ما فاتنا أيام الشدة .. أيام الحرب والسفر برلك .. كم سمعت من الأهل عنها . كنا نريد أن نبني لنحتل المكان اللائق بنا ومن أجل ذلك أعطيته كل شئ .. شبابي .. ثروتي .. أعطيته حبي ووضعت نفسي طوع أمره .

علـيّ : (*يبتسم بحزن وحنان*) وتوقعت كما توقع الجميع أن تتحقق الآمال .

زينب : كان لنا ما يبرر هذا التوقع ، شبابه الحلو وبلاغته الآسرة فضلا عن منبته الطيب وعلمه (*تصمت لحظة وكأنها تسترجع بعض الذكريات وتسير بهدوء في الصالة*) كم سعدت معه أيام زواجنا الأولى .. استطاع أن يفجر فيها عواطفي وطاقاتي فزادت عندي حرارة الأمل .. كنت أحس أني قادرة وأنا معه على صنع الكثير واقتحام أكبر الأخطار .. كنت أحس أننا نستطيع أن نجابه أعتى القوى ونتغلب عليها لنصل إلى تحقيق أحلامنا .. أقبلت على الإطلاع والدراسة في تلك الفترة رغبة في الاستزادة من المعرفة .

علـيّ (*بحنان*) ما أروع تلك الأحاسيس .. لقد عشتها معك ومن خلال تجربتك في تلك الأيام .ولكن كان يختلط بها في نفسي شعور بالوجل والحزن .وَجَلٌ وخوف من أن

تنفجر الآمال الكبيرة قبل أن تتحقق بعد أن نمت نمواً هائلاً .. فقد كنت أعرف حسناً حق المعرفة .. أعرف جوانب القوة وجوانب الضعف فيه .

زينب : (*بمرارة*) جوانب الضعف .. بدأت اكتشفها مع العشرة . من خلال ما في العشرة من تعامل ، لم نكن قد قطعنا شوطاً كبيراً في حياتنا (بتحسر).. ما كان أقصر شهر عسلنا .. (*تصمت لحظة*) ومن جوانب الضعف فيه نفذ الخلل .

عليّ : يبدأ الخلل ثم يكبر مالم يتدارك .

زينب : (بحسرة) حاولت أن أسعده ليتدارك ما بدا لي من جوانب ضعف فيه ولكن محاولتي لم تجد ، فقد كان مكابراً .. كانت المكابرة أبرز جوانب الضعف فيه ، وكان نزّاعاً للمبالغة وسخّر بلاغته في هذا المجال فأمست أقواله أكبر من أفعاله .وكان حريصا على الوجاهة يضحي في سبيلها ولا يفرط بها .. ومن أجلها أحب المال وانعطف لحياة الترف .

عليّ : رواسب قرون ورثها من مجتمعه.

زينب : وكنت أحلم بأن نتجاوزها .. ولكنه لم يعطني ثقته كان ينظر إليّ كدمية جميلة يجب أن يراها ويهمه أن يحافظ عليها ، فبدأت أشعر بالتباعد بيني وبينه وازداد هذا التباعد بعد خروجه من السجن .. فقد طرأ عليه تحول واضح جسّم جوانب الضعف تلك .. (*تصمت لحظة*) ومع ذلك لم أيأس وبقيت أحاول معه فقد كنت أحبه .. أحب

ذكرياتي معه ، حتي كانت الصدمة التي فجعتني به .

علـــيّ : رويدك يابنيتي ولا تفتقي جروحك التي كادت أن تندمل .

زيـنـب : لم تندمل ياأبت (*تشمخ برأسها في كبرياء*) ولكنها لم تعد تورثني إلا بقايا مرارة ، فجعتني تلك الصدمة به ولكنها أيضاً أيقظتني فلم أعد مخدوعة ، عرفته على حقيقته فزالت آلامي .

علـــيّ : (*بحزن*) بعد أن عانيت ما عانيت .

زيـنـب : نعم عــانيت ياأبتـــاه ..ليس أشق على المرأة من أن تكتشف خيانة زوجها (*تضحك بأسي*) طوال حياتنا الزوجية كان يخونني (*يبدو عليها التأثر على الرغم من بعد الحادثة*) ومع من ؟ مع ساقطة من يـهـوديـــات أوربـــا (*يتتابع البرق والرعد*) .

علـــيّ : " ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً " .

زيـنـب : (*بمرارة*) ليت الأمر وقف عند حد الزنا .. كان يمكنني أن أغفر له زلة عابرة ولكن الأمر لم يكن كذلك (*تصمت لحظة وتتنفس*) انكشف لي على حقيقته فاتخذت موقفي وعالجت كبريائي الجريحة (*تتـأوه وهي تحـملق في نار المدفأة*)ماكان أقسى تلك الأيام فقدت فيها أشياء كثيرة خاصة وعامة.

علـــيّ : عم المصاب الجميع ، وعانينا نحن أيضاً يابنيتي .. من النكبة ومن الفضيحة ..

زيـنـب : فضيحة عش الغرام على شاطئ البحر الميت .. (*تبتسم بأسي*) كان يصحبها إلى بيتنا هنا طيلة ذلك الشتاء

العصيب بينما الناس في صراع مرير ، وتبين بعد ذلك أنه كان على صلة بأخريات .. كان له عش آخر في القدس خصصه لسكرتيرة إنجليزية تعمل في حكومة الإنتداب ، (*تدمع عيناها*) كانت أيامنا قاسية ياأبت خابت فيها آمالي ..أحسست فيها أني فقدت كل شئ ولم يعد هناك مبرر لحياتي وكدت أنتهي لولا ذاك الذي كان في أحشائي..

(*يضئ وجهها وتمسح دموعها*) من أجله تشبثت بالحياة ولأجله نذرت نفسي (*تجلس*) .

علـيّ : اتخذت موقفك .. وانتقلت إلى حجرة أخرى بعيدة عن زوجك.

زينب : نعم ..(تنظر إلى صورة زوجها) فصلت فراشي عن فراشه .. لم يكن ممكنا أن أقبله بعد ما تلوث .

علـيّ : وعشت للوليد المنتظر .. عشت ليحيى .

زينب : نعم ..كنت واثقة من أنه قادم وسيعيش لي . سيعيش (*تتجه بانفعال إلى النافذة*) وسيأتي الليلة .

علـيّ : سيعيش يابنيتي .. وسيأتي الليلة في موعده .. ثقي بالله ياأم يحيى ، لقد حقق الله حلمك في تلك المحنة وأكرمك به .. رزقنا ولداً ..

زينب : (*تقف وسط الصالة*) ولد .. كما رجوت وكما تصورت في أحلامي .. (*يشرق وجهها*) سنوات طويلة حلمت به قبل أن أحمله ..

علـيّ : كم قلقت في تلك السنوات .

زيـنـب : شوقاً إليه .. وحين وضعته ألفيته مماثلاً للصورة التي سبق أن رأيته عليها . نعم ياأبت كنت رأيته مراراً في منامي .. وفي إحدي المرات كانت الرؤيا طويلة حافلة (*تتقدم إلى مقدمة الصالة ويبدو عليها أنها تتذكر*) ...

"كنت راجعة من زيارة أهلنا في المخيم وأنا في حالة من الضيق الشديد .. بعد ساعات مضنية أمضيتها معهم ، كان الطريق موحشاً وعراً يلفه برد قارس جمد أطرافي ، وبدا لي طويلا طويلاً .. وددت لو أصل بيتنا بسرعة فغذذت السير حتي شعرت بالإرهاق ، ولكن الطريق بقي طويلاً خشيت ألا أقوى على الوصول وأن أقضي في هذا الطريق ففزعت ، وبحثت حولي لعلى أجد من يعاونني أو يؤنس وحشتي فلم أر أحداً .. ناديت بأعلى صوتي فردد الصدى ندائي ولم يجبني سواه .. ولكني شعرت بالجنين يتحرك في أحشائي حركات سريعة ثم يسكن (*تصمت لحظة كأنها تستريح*).

تابعت السير وأنا أتمنى لو أجد ناراً أصطلي عليها وأكسر حدة ذلك البرد القارس ، حتي رأيت بيتاً على جانب الطريق دخلته والتمست النار في الموقد فلم أر إلا الرماد ، ولم أجد أحداً وحين سارعت لإشعال النار هبت النيران وفاجأتني بألسنتها تتصاعد حتي تبلغ السقف فجريت خارج المنزل والهلع يستولي على .وناديت فلم يجبني إلا الصدى ، ولكني شعرت بالجنين بتحرك مرة أخرى وبقوة أعظم .. (*تصمت لحظة*) .اشتدت حركاته ..

فآويت إلى جذع زيتونة قريبة لم أكد أستند إليها حتى جاءني المخاض . وناديت ..ناديت بكل كياني وجوارحي .. فسمعت بكاء حاراً .. كان وليدي يجيبني (*يبدو عليها الانفعال*) التفت إليه فرأيته صبوح الوجه، شديد سواد الشعر ، طويل الأطراف ، عربي الملامح ، وسمعت صوتاً يقول لي سمه يحيى .. هكذا تخيلت .

وفجأة رأيتك ياأبت واقفاً إلى جواري تبارك لي والبشر يملؤ وجهك ، وقلت لي: " سيكون له شأن يازينب فأعتني به واحذري عليه " ، ثم قلت: " انظري .. الجميع يتطلعون إليك وإليه" .. نظرت حولي فرأيت عيوناً كثيرة ترمقنا ، وبقيت العيون تحدق به وهو يكبر .. كان فيها عيون تتطلع بأمل ، وكان فيها عيون تفيض بالكراهية والغدر .

علـــيّ : أي رؤيا هذه .. لم تقصيها عليّ من قبل .

زيـنـب : احتفظت بها لنفسي ، لم أحدث بها أحداً .

علـــيّ : أكملي .. ؟

زيـنـب : رأيته يكبر ويأخذ بيدي في اتجاه الجبل .ودعاني لنصعد إلى قمته ، وحين قطعنا شوطاً ظهرت فجأة تلك العيون المفعمة بالكراهية ، وأحاطت بنا ، فزلت قدم ابني ورأيته يتدحرج من عل .. (*يتابع البرق والرعد*) سقط قلبي بين جنبي وركضت إليه أدفع عنه وكلي خوف ألا أقدر على ذلك ... فإذا بوجوه نضرة تسارع إليّ وتحيط جميعاً به بأيد قوية فيقوم ليتابع السير ونحن معه .. كانت عيناه ياأبتاه تشع بالعزم والتصميم على الصعود من جديد

لنبلغ القمة .

علـــيّ : وهل بلغتموها ؟

زيـنـب : أفـقت ياأبت على صـوت المؤذن ينادي الله أكـبـر فـقـمت للصلاة ودعوت .. وحين ولد طفلي أسميته يحيى (*تصمت لحظة*) ألحت عليّ ذكـري هذا الحلم في الأيام الأخـيـرة وبرزت أمامي بتفاصيلها .

علـــيّ : سيبلغ الركب القمة يابنيتي .

زيـنـب : القمة .. سنبلغها ، قلبي يقول لي نعم .. (*تصمت لحظة*) ولكني خـائفـة على الفـتى من هذا الطقس السيئ وهذه الظروف الصعبة .

علـــيّ : لا تخـافي عليه .. فـقد تحملت بنيتـه الطقس السيئ وهو رضـيع فكيف لا تتـحمله الآن وهو فـتى صلب ، ومـراراً جابهته ظروف صعبة فتغلب عليها واستفاد تجربة وخبرة.

زيـنـب : (*بقلق*) ولكن ألم تلحظ ما طرأ عليه من تغير في الآونة الأخيرة منذ وقعت الكارثة ؟

علـــيّ : تغير طبيعي يا بنيتي .. مطلوب أن يحدث ، لا تخافي فالله معه (*يسمع صوت سيارة تقترب فيصغيان السمع .. تقف السيارة*).

زيـنـب : السيارة المعهودة .

علـــيّ : نعم

(*يصمتان ويبدو عليهما التحفظ*)

***

(*يدخل الأب حسن من مـدخل الدار ، ويبـدو كـهلاً جاوز*

الخمسين، حريصاً على مظهره بالقوة ويعمد في لهجته إلى الإيحاء بالثقة في النفس ، ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يخفي حالة الضعف والإنهاك التي يعاني منها ويلاحظ أنه يقاسي أيضاً من الشك فيما حوله) .

حسن : (*متجهم الوجه*) مساء الخير .

زينب والجد : مساء الخير.

(يخلع الأب معطفه ويعلقه على المشجب بجوار المدخل ويتقدم إلى وسط الصالة).

حسن : (*ينقل نظره بينهما*) كأنما تنتظران أحداً (*بشئ من التهكم*) ليس أنا على أيه حال .. (*يتجه بنظره إلى الأم*) عهد انتظاري مضى منذ زمن بعيد وجاء عهد انتظاره هو (*يبتسم بسخرية ومرارة*) أراهن أنكما تنتظرانه .. هل واعدك الليلة ؟ بودي أن أراه لأسمع منه عن حقيقة ما يقوم به (*يبدو عليه الغضب*) أين هو ؟

عليّ : (تتلاقى عيناه بعيني الأم ثم يتحول بهما إلى الأب) .. ماذا تعني ؟

حسن : (*يشير إلى الأم*) هي تعرف ما أعني ؟

زينب : (*متجاهلة*) ماذا تعني ؟

حسن : (بثورة) تتجاهلين ما أناله من حرج بسببه .. سأعلن موقفي منه وأنتهي .. سأعلن موقفي من ابنك .

عليّ : اخفض صوتك .. لا داعي للصراخ .

زينب : (بهدوء) ما بالك أنك لم تجلس بعد . دوما تأتينا وأنت معبأ

حسن : (*يهدأ صوته قليلاً*) لقد أنذرنا الحاكم العسكري في اجتماع اليوم ، حذّرنا بشدة من أن صبره نفذ بعد الانفجارات الأخيرة ، وأنه مضطر لاستعمال أقصى درجات العنف ، وتحدث صراحة أن بعضاً من شبابنا يعاونون القادمين عبر النهر في عملياتهم ، وهنا تصاعد الهمس باسم ابنك بين الحضور .. اسم يحيى حسن على .. شعرت بعيونهم تتجه إليّ ، وحين انفض *الاجتماع* سألني الحاكم العسكري عنه فرددت ما قلته لي عن زيارته لأخواله ، فجابهني أن هذا غير صحيح والحقيقة أنه مختف (*يصمت لحظة*) كانت نظراته توجه الإتهام لي أنا .. لابد أن أعلن موقفي صراحة .

زينب : (*بهدوء*) أعلن موقفك .. ماالذي يمنعك ؟ فقد حددته منذ وقت طويل .

حسن : (*باتهام*) أنت دائماً وراءه .. أنت السبب في خروجه عن طاعتي .. تتسترين عليه .. تخفين مكانه عني (*مجابهاً*) انه ليس في زيارة أخواله كما زعمت .. انه يشارك في التخريب (*يتتابع البرق والرعد*).

الجد والأم : (*باستنكار*) تخريب ؟

حسن : (بتحد) تخريب ..هذه الأعمال كانت سبباً في نسف بيوتنا .. لم تفهموا بعد معنى إنذار الحاكم العسكري ؟ (*يشدد على الألفاظ بغضب*) .. معناه نسف بيوتنا .. تخريبها .. ليس فقط بيوت من يثبت عليهم القيام بعمليات .. بل بيوت من يشك فيهم مجرد الشك .. هذا فضلاً عن

الاعتقال والتعذيب وفرض الغرامات (*بانفعال*) إن هـذا البيت مهدد بالنسف ، لن يتساهل المحتل مع أحد يهدد الأمن ، لن يتساهل مع " يحيى حسن عليّ " حين يعمل في التخريب .

زينب : (بغضب) تسمي مقاومتنا تخريب ؟ نضال شبابنا تخريب؟ (*بازدراء*) تتبنى وجهة نظر العدو .. تحكي بلسانه (*تقف في مواجهته*) إن شبابنا يناضلون من أجل وطنهم ومن أجل أمتهم .. إبني واحد منهم .

عليّ : (*بعمق وقوة*) صدقت يابنيتي .. انهم يجاهدون في سبيل الله حق جهاده لإعلاء كلمة الحق .

زينب : (*مخاطبة الأب بقوة*) انهم يبنون ويبذلون كل ما يملكون في سبيل البناء .. بناء مستقبلنا جميعاً .. حياتهم كلها بناء .. من أجل ذلك يقاومون العدو الغاصب ..

حسن : (*يتراجع بعض الشئ محاولاً تفسير كلامه*) انهم يقدمون المبرر للمحتل .. كي ينزل بنا غضبه .. كي ينتقم ويزيد في إذلالنا .. ومقدراتنا اليوم بيده .. فهو قادر على أن يفعل ما يريد (*متظاهراً بالغضب والغيرة*) وأنا لن أرضى ولن أسمح لأحد أن يقدم هذا المبرر .. فليكفوا ..

زينب : (*تقاطعه مستنكرة*) يكفون هم ؟ هم يكفون ؟؟ (بتقرير) أم على العدو المحتل الغاصب أن يكف هو عن عدوانه حتي ينتهي العدوان من أساسه .

حسن : (بضيق صدر) أنهم يزيدون المحتل عناداً بأعمالهم هذه ماذا ستجدي هذه الأعمال ؟ إلا أن تفسد علينا محاولاتنا

ومساعينا لإنهاء الاحتلال ، وإلا أن تكون سبباً في نسف البيوت ، واعتقال الأبرياء ، وتعطيل الأعمال وفرض منع التجول .

علـــيّ : (*مقاطعاً وكأنه يخاطب نفسه*) سمعت مثل هذا الكلام منذ ثلاثين عاماً .

حـــسن : (*متابعاً*) فليكفوا هم ويدعونا نعمل .. نحن أدرى منهم بما يمكن عمله وكيف يمكن عمله .

زيـنـب : أنهم يعرفون ماذا يعملون .. هم يمارسون حقهم الطبيعي في المقاومة .

حـــسن : (*يرد عليها بانفعال*) انهم أولاد لا يشعرون بالمسئولية .. الناس لها مصالح وهم يهددون هذه المصالح بأعمالهم.. إنهم لا يدركون كم تؤثر أعمالهم على التجارة و مصالح التجار ، ولا على السياحة التي يقتات منها آلاف الأسر .

زيـنـب : مصلحة الناس هي تحرير الأرض والعيش بكرامة .. وهذا يعني إنهاء الاحتلال واسترداد الحق المغتصب ، ولا حياة لهم ولا مصالح بدون ذلك .. لا معنى للحياة في ظل الاحتلال .

حـــسن : (*ينظر إليها شزراً*) سمعت هذا الكلام من إبنك .. لا أدري أيكما يردد كلام الآخر .. (بحدة) ولكني أدري أن ما ترددانه كلام منمق له دوي ولكنه كالطبل الأجوف .

زيـنـب : (بهدوء) يضايقك الكلام لأنه كلام الحق .

حـــسن : أي حق .. قولي كلام الخيال والأحلام.. الأحلام العريضة التي تطير وتحلق بعيداً عن أرض الواقع ..(بتهكم)

تحرير الأرض والعيش بكرامة .. وستتابعين اشتراكية ووحدة .

زيـنـب : نعم .ذلك ما يهتف به قومنا معبرين عن أصدق آمالهم .

حـسن : فليدعوا الآمال وليعترفوا بالأمر الواقع .. وعند ذلك سيكيفون أنفسهم وأوضاعهم على أساسه (بتحد) نحن شعوب ودول بينها حدود قائمة ..هذا واقع ، وهناك إسرائيل هي واقع ايضاً ، فلندع حديث الوحدة ..حديث الأحلام .

زيـنـب : (*تقاطعه*) نحن أمة واحدة .. تلك هي الحقيقة.. أنا لست سياسية .. أنا امرأة من الناس وكل الناس تؤمن بهذه الحقيقة .. وهناك شئ إسمه الوطن العربي كل شبر فيه هو لهذه الأمة (*تصمت لحظة*) إننا نرفض الواقع المر المخالف لطبيعة الأمور .. (*بمجابهة*) وإرادة الناس قدر من القدر تغير وتصنع .. لا شيء قادر على أن يقف في وجهها .. وأن يوقف حركة الحياة .. أحلامنا ستتحقق وفي وقت لن يطول ..أحلام الناس البسطاء دوماً تتحقق .

حـسن : (*بضيق صدر*) هروب من الواقع (*يهز رأسه بأسف*) لماذا أطيل معك ؟ لا جدوى .. (*يجلس على الكرسي الكبير مستنداً بمرفقيه على جانبي الكرسي فيما يشبه جلسة حاكم*) المهم أن أراه هو لأبت معه الأمر وأعلن موقفي .. (*تقف الأم بجوار النافذة تنظر إلى بعيد ساهمة ، وينشغل الجد بالتسبيح ، ويتابع الأب كأنه يحدث نفسه*) ما أكثر ما سبب لي هذا الولد من مشاكل . لماذا قرر البقاء هنا ؟

دوماً يتخذ قرارات وأنا آخر من يعلم .. كان مجيئه بعد الحرب مفاجأة لي ، ثم لم يلبث أن فاجأني بقراره البقاء مع أن جامعته تنتظره .. لماذا ؟(يرفع صوته) لماذا جاء ؟ لماذا لم يغادر ؟ لماذا ؟

زينب : (بهدوء) لأنه يعرف جيداً أن مكانه هنا .. ولأننا أيضاً أردناه معنا .

حسن : لماذا رفض إذن ان يستلم عملاً ، مع أني جاهدت لأجد له عملاً مناسباً ، عرضت عليه عدة وظائف ليختار بينما أكثر الشباب يتمنون وظيفة واحدة .. دوماً يرفس النعمة بقدمه.

زينب : هو يعرف صالحه .

حسن : (*يتابع بغيظ*) لماذا رفض أن يرافقني لزيارة الحاكم العسكري ؟ كأنه الوطني الوحيد .. أبو الوطنية .. يتشاطر عَلَيّ أنا ؟ أنا الذي علمته الوطنية .صنعتها قبل أن يولد (بصبر نافذ) لا بد أن أعلن موقفي منه

زينب : (*تتحول إليه*) ماأشد ما تحمل في نفسك عليه .

حسن : أنا !! أحمل في نفسي عليه ! نسيت أني أبوه .. (*متلبساً الإخلاص*) أنا أريد الخير له .. دوما أردت الخير له . وددت أن أهيئه ليخلفني ..ليرث أموالي ومركزي .. رتبت له كي يصبح كما أريده .. شاباً يتعلم في أحسن جامعات أمريكا .. مضمون المستقبل .. (يتجه *إلى الأم*) ولكنك وقفت في طريقي أنت .. نعم أنت أفسدت مخططاتي .. شجعته على أن يخرج عن إرادتي .. لماذا ؟

زينب : ينضج أولا ثم يخرج ليأخذ من الأمم الأخرى على بصيرة

.. أردت له أن يعرف أمته أولاً .. يستمد أصوله منها ..تمتد جذوره فيها .. ومن ثم يخرج ويطلع ويعود ليأخذ بيدها مع اخوانه في تلاحم كامل معها ..أردناه أصيلاً وأراد هو ذلك .

حسن : (*يقلب شفته*) مفاهيم جديدة .. (*بغيظ*) لا جدوى من مناقشتك .. لو أن الأمر بيدي ..

زينب : (*تقاطعه*) لقد خرج الأمر من يدك (*بغضب*) حاولت منذ البداية أن تتحكم فيه كما تحكمت فينا .. لقد كرهته قبل أن يولد فوددت ألا يولد .. كأن في خروجه تهديد لك .. إيذان بنهايتك .. وحين ولد أردت أن ترسم له حياته وفق هواك وسعيت إلى احتوائه (*تصمت لحظة*) ..
لم تحاول أن تدرك الفارق الكبير بين عصرك وعصره وعبثاً حاولت ان أفهمك الحقيقة .. أبيت أن تفهم .... وجابهتني بتعاليك المصطنع وعملت على إخضاعه بالترهيب مستغلاً حداثة سنه وظروفي السيئة .. كان طبيعياً أن أقف إلى جواره لأدفع عنه جهد المستطاع .

حسن : (*باتهام*) جرأته علي ، فلم يعد أحد قادراً على كبح جماحه

زينب : أنت الذي أبعدته عنك .. بأسلوبك معه .. كم حاولت إرهابه في صغره وحين شب عن الطوق أوقفك عند حدك وخرج الأمر من يديك .. (*يهم حسن بالكلام فتشير إليه بيدها ليسكت*) لا تقاطعني .. دعني أكمل حديثي .. أتتذكر متي حدث هذا ؟ (*تجابهه*) حين عجزت عن ضربه (تتذكر)

كان راجعاً من المدرسة فسقته إلى غرفتك وأغلقت الباب دوني كما تعودت ان تفعل.. كانت عيناك تقدحان شرراً .. أردت أن تعاقبه لمشاركته في المظاهرات الطلابية يوم الانفصال الأسود .. (تصمت *لحظة*) ولم ألبث أن رأيتك تفتح الباب وتخرج مطأطئ الرأس .. وعرفت منه ما يجري .. أمسكت بالعصا وأقبلت عليه مكفهر الوجه أحمر العينين وهويت بها عليه أحس بأنك قد تقتله فأمسك بيدك بكل قوته وثناها وأسقط العصا منها .. كان بمقدوره أن يؤذيك لو استسلم لغضبه الفتي ولكنه لم يفعل .. واكتفي بإنـــذارك ألا تحـاول ضـربة مـرة أخـرى(*بتأثر*) قص يحيى عليّ ما حدث ذلك اليـوم وعينـاه تدمعـان (*تتجه إلى الأب*) وزادت كراهيـتك له .

حـسن : جرأته حتى تطاول عليّ .. أهان كرامتي منكراً كل حقوقي عليه .. لم يعد شيء يعجبه .. وشجعته أنت على هذا كله .. لقد أفسدته وستندمين على ذلك .

زينـب : (*بشدة*) مـا أعظم خطؤك .. (*تهم بمتابعة حديثها ولكن الجد يقاطعها*).

علـيّ : (*مقاطعاً*) صمتاً يازينب .. (*يتجه إلى الأب*).. ولتسكت أنت .. يكفينا ما نحن فيه ، لا نريد مشاحنات (*مخاطباً الأم*) قومي وهيئي لنا العشاء يابنيتي .

حـسن : (*بضيق*) لن أتعشى هنا الليلة .. أنـا مدعـو في الخارج. (*تسترق الأم نظرة إلى النافذة ، ثم تنظر إلى الجد وتخرج من البـاب المؤدي للمنزل ويسـير الأب ذهاباً وإياباً في*

الصالة) .. (*مخاطباً نفسه*) لم تعد الحياة تطاق في هذا البيت .. عيشة مر .. باتت تلح على فكرة الهجرة إلى غير رجعة (*يبدو وكأنه يعاني من عقدة اضطهاد*) لا أجد لحظة راحة .. لا أكاد انتهي من ارهاق العمل .. المقابلات والمجاملات والنقاش .. حتي أجابه بالمتاعب هنا ، في بيتي .حتي هنا لا أستريح .. (*بنقمة*) لم يعودا يطيقان رؤيتي لا هي ولا ابنها (*بشكوى يائسة*) لم تعد صحتي تحتمل الإرهاق والنكد في العمل والبيت .

علـــي : (*يرمي ببعض قطع الحطب في المدفأة*) تعال وأجلس .

حـســن : (*متابعاً شكواه*) انها قاسية جاحدة .. لم تحاول قط تقدير ظروفي .. لم تستطع أن تفهمني .. (*بضيق ممزوج بالغضب*) أنها لا تفهمني (*يضع راحتيه على وجهه للحظة*) كثيرون لا يفهموني .. لست أول من قاسى من نكران الجميل .. أنا أحاول أن أخدم .. فلماذا يتحاملون عليّ ؟ (*يتحول مخاطباً الجد*) أنت تعرف التضحيات التي قدمتها من أجل هذا البيت.

علـــيّ : (*يهز رأسه*) تعال واجلس .. كيف كانت اجتماعات اليوم؟ (*يبدو الأب وكأنه يفيق .. وينظر في ساعته*) .

حـســن : كالعادة .. مثل بقية الاجتماعات .

علـــيّ : (*بلهجة خاصة*) هل تغيّب أحد ؟

حـســن : (*ملسوعاً*) ماذا تقصد أن تقول ؟ تريد أن تعرف عدد الذين استجابوا لدعوة المقاطعة .. (*بثورة*) لا قيمة لهم مهما بلغ عددهم .. وقد قلنا ذلك للحاكم العسكري

صراحة .. الذين تغيبوا ليس لهم أية قيمة .. يكفيهم أنهم استجابوا لدعوة غبية ، وجبنوا عن الحضور خوفاً من تحذير تافه وجهه مجهولون .. لماذا يخافون ؟ (كأنه يقنع نفسه بعدم *الخوف*) لماذا ؟

عـلـيّ : (*بصوت قوي*) من نقمة الناس وغضبتهم .. الناس لا يريدون هذه الاجتماعات . لا يقبلون مجرد اللقاء مع العدو منذ اليوم الأول نبهتك ونصحتك .

حسن : (*بازدراء*) ولم أسمع .. لأن ناسنا لا يعرفون ماذا يريدون .. رؤوسهم يابسة .. (*يقف في وسط الصالة*) ناسنا يعيشون في الأحلام .. أحلام كبيرة عريضة وبعيدة .. بعيدة لا تمت إلى الواقع بصلة .. (*باستخفاف*) لا قيمة لقبولهم أو رفضهم .

عـلـيّ : انهم يرفضون ما يهدد وجودهم ومصيرهم وهم قادرون بالفطرة على التمييز بين ما ينفعهم وما يضرهم .. بين من يحبهم ويثق بهم ومن يكرههم ويتشكك بهم .. وهم عند رفضهم لا يتزحزحون عنه إلا بانتصار إرادتهم .

حسن : كلام .. سترى غداً ياأبا حسن .. سترى موقف الناس حين يرضون بحلولنا . لن يهتفوا لها ،ولكنهم سيمارسون حياتهم في ظلها .. ونحن لا يهمنا الهتاف .. الناس تهمهم مصالحهم .. وحلولنا سترعي هذه المصالح .

عـلـيّ : (*يخرج عن هدوءه بعض الشئ*) أي مصالح ترعاها حلولكم ؟

حسن : (*متحمساً*) ماالذي يريده ناسنا في حياتهم ؟ العمل ؟ ؟

ستنهال علينا الأموال للقيام بمشاريع تكفل تشغيل جميع العاطلين .. سيكون لهم مساكن أيضاً ، سنبني قرى جديدة لإسكان اللاجئين ونكفل لهم حرية العمل والتنقل، ستكون الحياة طيبة ما دمنا لا نسئ علاقاتنا بجيراننا .

عــلـــيّ : (*باستنكار*) جيراننا !!

حــســن : نعم .. هم موجودون وأقوياء .. علينا أن نعترف بذلك ونقبل به .

عــلـــيّ : وماذا بعد ؟

حــســن : (*بحماس*) نبني دولة .. وننتهي من هذا التشرد الذي عانينا منه طيلة الأيام الطويلة الماضية ، نصبح كأشقائنا .

عــلـــيّ : دويلة جديدة من هذه الدويلات على جزء صغير من الأرض .. هذا ما تقدمه ؟ ! على أيامي كنا وطناً واحداً لا حدود بين أجزائه .

حــســن : على أيامك .. ونحن أبناء اليوم (*يصمت لحظة*) سيعود إلينا اعتبارنا . أنت تعلم جيداً كم قاسينا .. أنكرنا الجميع .. منعونا من أبسط الحريات .. حرية العمل والتنقل .. هل أكرر على مسامعك قصص وثائق السفر والمطارات والتأشيرات .

عــلـــيّ : هذه أخطاء عانى منها جميع أبناء أمتنا .. أشقاؤنا أنفسهم ذاقوا منها الأمرين . وعلاجها الوحيد وحدة هذا الوطن لا المزيد من تجزئته .

حــســن : بعد عمر طويل يتحقق علاجك .. ونحن أبناء اليوم نقدم علاجاً لمشاكل اليوم .(*متحمساً*) ستقوم دولتنا .. هذا هو

العلاج .. ستنمو دولتنا بسرعة وتتقدم وتقوم بدورها في المنطقة .. نحن شعب ذكي .. نسبة التعليم فينا كبيرة. والمال الذي ينقصنا لا نعدم وسيلة للحصول عليه من الأصدقاء والجيران .

علـــيّ : (متجهم الوجه) من تعني ؟

حـســن : (بإصرار) لعلك تتجاهل .. أصدقاؤنا في الغرب وعلى رأسهم أميركا .. عروضها واضحة محددة .. ألم أحدثك مراراً عن موقف القنصل الأمريكي بعد الحرب ؟ لقد كان له الفضل في وقف النسف بقلقيلية وإعادة أهاليها بعد أن أخرجوا منها (يصمت لحظة) حضر القنصل الاجتماعات الأخيرة ، وكنا صرحاء معه ، شكونا له أعمال جيراننا المحتلين التي تثير نقمة الناس ، كم كان متفهما ووعد بالكثير إن نجح المشروع .

علـــيّ : مشروع الحل الأميركي للمشكلة .. الكفيل بتصفيتها ..

حـســن : سمه ما شئت .. المهم أن ننتهي من الوضع الحالي ونلتفت لبناء أنفسنا بدلا من ضياع المال والجهد في حرب خاسرة.

علـــيّ : الناس يعرفون ما تدبر أمريكا لهم .

حـســن : (يغمز) ألم يكن جيلك هو الذي طلب في معاهدات الصلح إثر الحرب العالمية الأولي أن تكون أميركا هي الدولة المنتدبة ؟

علـــيّ : (بحزن) كان ذلك قبل أن تتكشف حقيقة وعود ويلسون ومبادئه .. تبخرت جميعها في باريس .

حسن : (بضيق) دعونا من الوعود والمبادئ .. ياناس .. ليس هذا هو المهم لا قبل لنا بمطاولة أميركا .. إذن فلنصادقها بالحسنى ..بالتفاهم يتم كل شئ .. وتسير أمورنا هنا سيراً طبيعياً ألا ترى ذلك !

عليّ : (*يبدو عليه أنه يغالب الإنفعال والألم*) هل بلغ الأمر بكم هذا الحد ؟ كل شئ طفا على السطح .. يالهذه النكسة .. كم فعلت وفجرت .. (*يقوم من مجلسه بصعوبة*) .. ردة أي ردة .. فجرتها كل النوازع الفاسدة فينا .. الكفر بالشعب والإقليمية البغيضة وجميع رواسب التخلف فينا .. يالشدة هذا الظلام الدامس ..يالشدة هذا الظلام الدامس (*يصمت لحظة ويشرق وجهه*) ولكن من هذا الظلام الدامس ستخرج خيوط الفجر البيضاء .. لابد أن يبزغ الفجر بعد أن يمحص الذين آمنوا ويتخذ منهم شهداء . (*يجلس*) .

(*تدخل الأم في نهاية حديث الجد*)

زينب : العشاء جاهز ياأبت (*تتجه نحو الجد لتعاونه على القيام*).

حسن : (*ينظر في ساعته ويتجه إلى الأم بالحديث*) ستكون عندي مأدبة في الأسبوع القادم تضم عشر مدعوين .

عليّ : (*وهو يقف*) من ؟

حسن : (*يتظاهر بالثقة*) بعض الوجهاء .. مع القنصل والحاكم العسكري .

عليّ : (*باستنكار*) القنصل الأميركي والحاكم العسكري ! .

زينب : (*تنتفض*) نعم ؟ في هذا البيت ؟ مستحيل .

حســـن : (*يتظاهر بالغضب*) لماذا الاستهجان والاستنكار ؟ وهذا بيتي وأنا حر أدعو له من أشاء .

زيـــنـب : (*بتصميم*) لن يطأ عتبة هذا البيت .

حســـن : (*بنفاذ صبر*) أني أعـرف مـاذ أفـعل .. أنا أرمي إلى أشياء محددة فيها خير كثير .. ولكنك لا تفهميني.. لا تثقي بي .. لا جدوى من محاولة إقناعك .

زيـــنـب : ليس في هذا البيت .. أبداً .

حســـن : (*بحزم وتصميم*) اسـمعي يازينب .. لن أسمح لأحـد أن يقف عقبة في وجهي بعد الآن .. لن أسمح لكم أن تفسدوا ما جهدت في ترتيبه .

زيـــنـب : (*بقوة*) نحن الذين لن نسمح بتدنيس هذا البيت .. هذا موقف حددناه واتخذناه .. رفضنا استقبال أحد من المعتدين فيه .. رددنا من جاء منهم على أعقابه .

حســـن : (*بغيظ*) عرفت بما فعلتموه قبل أيام .. كما عرف به الكثيرون في المدينة .. حتى الحاكم العسكري أشار إليه في أحد الاجتماعات .. حدث هذا من أهل بيتي هل تدركين كم زعزع مركزي ؟ كيف ترفضان استقبال زوار يطرقون بابكم ؟

زيـــنـب : لم يكن معقولا أن أسمح لهم .

عـلـــيّ : جاءنا من الحي من أخبرنا أنهم يسألون عنا .. خرجنا إليهم وبالكاد عرفناهم أولئك الذين كانوا جيراننا منذ أعوام طويلة في بيتنا ذاك على الشاطئ .. أتذكرهم ؟ أفراد تلك الأسرة اليهودية .. زعموا أنهم قادمين للتحية

في العيد وتجديد التعارف بيننا .. كان بادياً عليهم التعالي والإنتشاء بالنصر .. (يصمت *لحظة*) بإختصار وإيجاز أفهمناهم أنهم لم يعودوا جيرانا لنا .. وإنما أصبحوا معتدين غاصبين .. كانوا أهل كتاب يعيشون معنا حياة طيبة كما عاش آباؤهم في هذا الوطن مئات السنين .. ولكنهم أصبحوا منذ ارتبطوا بالصهيونية القادمة من الغرب غزاة صهاينة طمعوا في أرضنا واغتصبوها .. أصبحوا محتلين عنصريين ففقدوا حقوق الجوار .

زينب : وبات فرضاً علينا محاربتهم .. فلا مجال للتعايش بيننا وبينهم إلى أن نرجع الحق الذي سلبوه ونطرد الغزاة .. هذا موقفنا من يهود المشرق الذين خانوا وطنهم وانضموا للصهيونية ، فكيف نسمح للقنصل والحاكم العسكري ممثلي الغزاة الغربيين أصل الداء الذين قدموا إلى أرض ليس لهم بها صلة ليغتصبوها عدواناً .. لن نسمح .

حسن : (بضيق) لن يفهمني أحد ..لم أعد أطيق .. (*يسمع صوت سيارة تقترب*) ولكني حتي الآن سيد هذا البيت ، الذي أراه هو النافذ .. ستكون في هذا البيت مؤدبة (يستدير *للخروج*) .

زينب : لن نسمح .. لن تكون .

(يسدل الستار)

الفصل الثانى

" منتصف الليل "

"المكان نفسه .. الظلام يسود الصالة ويبدو دامساً وراء النافذة .. في المدفأة بقايا جمرات .. يسمع صفير الريح مختلطاً بصوت زخات المطر .

الوقت منتصف الليل .. تسمع دقات ساعة حائط في البيت يرفع الستار على الجد – أبي الحسن – يصلي جالساً بصوت خافت في ركنه المعهود .. لحظات وتدخل الأم زينب من الباب المؤدي إلى داخل البيت ، وهي في ثياب النوم وتضع شالاً على كتفها .. تضيء الصالة بضوء البرق ثم يسمع صوت الرعد .. تتجه الأم ناحية النافذة .. وتضيء المصباح الكهربائي في طريقها ، فيعم الصالة ضوء خافت نسبياً" .

زينب : انتصف الليل ولما يأت .. لم يأت يحيى بعد ... من أين يأتيني النوم ؟ أف ما أسوأ هذا الطقس (*تلتفت إلى الجد*) تصلي يا أبتاه (*في مناجاة*) ادع الله له أن يكلأه بعين رعايته ، وأن يحفظه لي ويحقق أحلامي على يديه . وادع الله لي أن يسكب السكينة في نفسي ويمكنني من الاحتمال ويمنحني الطمأنينة .. فخوفي يتعاظم يا أبت .. ادع الله لي في صلاتك فأنت تقول دوماً دعاء قيام الليل سريع الوصول والاستجابة .

(يرتفع صوت الجد مرتلا)

عليٌ : ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني

اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم" (*يتابع ركوعه وسجوده*)

زينب : فليكن الله معه في حله وترحاله ، في كل خطوة يخطوها وليحفظه لنا (*تصمت لحظة*) الدعاء يريحني بعض الشئ يا أبتاه ، ويطرد اليأس من قلبي ، سأدعو أنا أيضاً كما علمتني ..في ساعات الليل البهيم الحالك السواد . سأدعو له قبل طلوع الشمس وبعد الغروب .

علي : (*يختم صلاته*) السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله .. (*يلتفت إلى زينب*) ادع يازينب فالله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه .. وليسكب الله السكينة في نفسك .. (*بعطف*) أصابكِ الأرق ؟ ألم أقل لك يحيى سيأتي في موعده فلا تتحرقي ولا تستعجلي .

زينب : موعده الليلة ياأبت .. قلت لك إن قلب الأم لا يكذب .

عليّ : أنت بحاجة إلى الراحة .. لماذا لم تنامي ؟ ألم أطلب منك ذلك ؟

زينب : حاولت النوم كما أردت طلبا لقليل من الراحة فلم أفلح دخلت الغرفة بعد العشاء وتركت باب الدار الخلفي دون أن أحكم إغلاقه .. ليتسنى ليحيى أن يدخل منه في أي وقت يصل فيه .. ويفاجئني .. وبقيت انقلب على الفراش أنتظر المفاجأة .

علي : لم يعد مفاجأة هذا الذي تترقبيه .

زيـــــنب : (تبتسم بمحبة) تعــودت على ذلك .. أنت تعلم كم يحب يحيى أن يفاجئني .

علــــيّ : وبت تتوقعين مفاجآته .

زيـــــنب : التي تبقى رغم توقعي لها مفاجآت رائعة .

علــــيّ : حقاً إنها رائعة .. كم سعدنا برجوعه من السفر على غير موعد.

زيـــــنب : فتحت الباب فرأيته أمامي .. عدة مرات تكرر الأمر .. وفي كل مرة كنت أصيح أناديك لترى حفيدك .

علــــيّ : ولأسمعك تقولين لي " كان قلبي يحدثني " .. وقد رفت عيني وحكتني يدي أليس كذلك ؟

زيـــــنب : نعم .. صدقني إنه قلب الأم .. له دائرة واسعة يحس بما يجري فيها بسرعة .

علــــي : ويتصل بقلب الإبن عن بعد .. أُصدقك ياأم يحيى .

زيـــــنب : وهذا ما يجعل يحيى يفهمني بسهوله وسرعة ، فتأتي مفاجأته تلبية لرغباتي وتحقيقاً لأحلامي ، أتذكر مفاجآته لنا في عيدي .. عيد مولده ؟ (تصمت لحظة) ما كان أروعها .. كان يحرص على اختيارها بما يسعدني .

علــــي : ما أكثر ما تحبينه يازينب ، حين تتحدثين عنه تلبسينه من محبتك أروع الأثواب وتتيهين به فخراً .. (مواجها) ألم تخافي عليه من هذا الغلو في المحبة ؟ ألم تخشي عليه من هذا الدلال أن يغتر بنفسه وبشبابه ؟ ولا أقول أن يفسد كما يردد أبوه .

زيـــــنب : لا ياأبت لم أخش .. لم تكن عاطفتي وحدها هي التي

تحكم علاقتي به ، وإنما عقلي أيضاً .. كذلك الأمر عنده بعد أن أنشأته عليه .. (تصمت لحظة) لقد رقبت باهتمام تأثير محبتي عليه .. على تصرفاته خاصة وأنا أسمع ملاحظات أبيه ، فوجدت أن محبتي كانت تشعره بمسئولية أعظم فيشتد حرصه على سلامة أفعاله ، إن يحيى ياأبت يقدر معنى ثقتنا به ، ثم إني لم أغفل قط عن محاسبته إن أخطأ حتي تكون لديه حس دقيق يستشعر به أثر أعماله على من حوله ..

(تصمت *لحظة*) لا أنكر أن له زلات وأخطاء ولكن مما يزيد إعجابي به قدرته على ضبط نفسه ومنعها من الانسياق في الخطأ بعد التجربة .

علـــيّ : التجربة والخطأ .. التجربة والخطأ .. ألا ترين يازينب مخاطر هذا الأسلوب، هذا أسلوب مقبول في المراحل الأولى من حياته حين كان صغيراً ، ويحيى الآن شاب بالغ .. انه بحاجة إلى أسلوب آخر .

زيـــنب : أفهم ما تعنية يا أبت .. التجربة والخطأ مرحلة تجاوزها هو نفسه .. مرحلة انتهت ولم تعد مقبولة لا منا ولا منه .

علـــيّ : مرحلة كانت مقبولة في أول تفتحه ليتلمس طريقه .. أما الآن فهو مطالب أن يكون لديه دليل واضح يجنبه الوقوع في الخطأ .. ويقوده في سكة السلامة ..أليس كذلك يا زينب؟.

زيـــنب : نعم ياأبت (*تجلس*) لقد أوضحت له هذه الحقيقة منذ فترة وشعرت من حديثه أنه توصل إلى وعيها بنفسه ، قال

لي بضيق أنه مل التجارب والأخطاء وتساءل هل كتب على الإنسان ألا يتعلم إلا من تجاربه وأخطائه .. كان ذلك حين رسب في عامه الدراسي وعاد إلينا تملؤه خيبة الأمـــل (*تتجه إلى الجد*) حولته عليك لتجيب عن تساؤله وتحكي له تجارب من سبقوه .

علـــــيّ : جاءني يوماً وحكيت له قصصاً كثيرة ونبهته إلى عبرها وأفهمته أن الباقي عليه هو ..عليه أن يري معالم طريقه بوضوح في كل مراحلها مرحلة مرحلة .. فهل فعل يازينب؟ هل ترين يحيى واعياً ما يصنع ؟

زيـــــنب : (*يبدو على وجهها مسحة من حيرة*) أشعرأنه كذلك . أنا أثق به ياأبت ولكن .. ولكني بحاجة إلى أن أتأكد .. من أجل هذا أنتظره الليلة .. أريد أن أسمع منه فقد طال صمته هذه المرة .. أريد أن أناقشه ..لن أتردد في سؤاله هذه المرة سأطلق جميع أسئلتي المحبوسة . فإن من حقي أن أعرف .. من حقي أن أطمئن .

علـــــيّ : ومن حقه علينا أن نناقشه ونسأله .. فهذا يعاونه .

زيـــــنب : كم أود أن أعاونه ياأبت ..كم أود لو أضع كل ما أملك بين يديه (*تنصت لحظة ثم تتابع بصوت هامس*) أسمع صوتاً في الداخل (*تقوم وتتجه ناحية الباب الداخلي*) أسمعت ياأبت ؟ صوت الباب الخلفي يفتح ويغلق .. (*تمرّ لحظات*) .

***

(*يفتح الباب ويدخل يحيى) .. فتى في شرخ الشباب .. طويل القامة .. قوي البنية .. وإن كان يبدو نحيلاً .. واضح الوسامة .. رجولته مبكرة .. فيه حرارة وصلابة .. يوحي منظره بمزيج من الشاعرية والعملية .. أبرز ملامح وجهه عينان سوداوان يعلوهما حاجبان كثيفان نسبياً سوادهما فاحم .يبدو عليه التعب ويلبس كوفية وعقالاً على رأسه .. وقمبازاً (لباس أهل الريف في فلسطين) ومعطفاً عليه آثار مطر .. ومع دخوله تضيئ الصالة بنور أقوى*) .

زينب : يحيى . إبني .. إبني الحبيب (*تتقدم وتعانقه بحرارة*)

يحيى : أماه .. أمي الحبيبة .. (*يبادلها العناق*) .

زينب : إبني الحبيب (*ترفع رأسها عن كتفه وتنظر إليه متفحصة*) كنت واثقة أنك ستأتي .. وها أنت قد جئت .. ألم أقل لك ياأبتاه (*تلتفت للجد*) .

يحيى : (*يلتفت بدوره للجد*) جدي الحبيب (*يتقدم إليه ويلثم يده*)

عليّ : بارك الله فيك يا يحيى .. تعال أقبلك (*ينحني يحيى فيقبله الجد من خده*) ما أصدق مثلنا الشعبي .. ذكرنا القط طلع ينط . كنا في سيرتك .

يحيى : خيراً إن شاء الله .. القلوب على بعضها .

زينب : (*باهتمام وانشغال*) تعال أولاً ..تعال..ثيابك مبتلة والتعب باد على وجهك . اخلع هذا المعطف وهذه الكوفية أغرقك المطر . (*يخلع الفتى معطفه وينزع الكوفية. والعقال عن*

رأسه) تعـال اجلس قـرب المدفـأة (*تجلسـه وتتقـدم إلى المدفأة فتضع فيها عدة قطع من الحطب وتشعلها)*

يـحـيى : شكراً يا أماه .. ما ألذ الدفء .. لقد امتلأ قلبي بالدفء حالما رآك وها هو جسمي سينال نصيبه من الدفء أيضاً.

علـيّ : ما أقدر هذا الفتى على ارضائك يا أم يحيى .

زيـنب : انه يعرف منزلته (*تتجه للفتى*) يحيى . لقد تأخرت. كدت أعتب عليك لتأخرك هذه المرة .

علـي : أصلحك الله يازينب . تعتبين عليه قبل أن تعرفي ظروفه ، ما أعجبك .

يـحـيى : جدي على حق يا أماه .

زيـنب : وجدك يعذرني فقد رأي مقدار إنشغالي عليك ولهفتي على وصولك .(*تصمت لحظة*) المهم الآن أنك وصلت الحمد لله، ما رأيك أن تستبدل ثيابك ، وتستريح فأنت متعب كما يبدو .

يـحـيى : (بمحبة) لا عليك ياأماه ، لقد خلعت ثيابي المبتلة ، وحذائي سيجف بفعل الحرارة ، لقد عمتني الراحة حالما رأيتكما ، أريدك ان تستريحي أنت ، يبدو انني حملتك الكثير ، تعالي اجلسي.(*تجلس*) .

زيـنب : راحتي أن أراك بخير ، طمئني عن صحتك ، عن أحوالك ، لعلك جائع ؟ هل آتيك ببعض الطعام ؟

يـحـيى : لست جائعاً ياأماه ، كل ما أريده أن أراك ، أتزوّد منك .

علـي : أعذرها يا يحيى فهي أم ، وأول ما تذكره الأم أن تسأل

إبنها عما إذا كان جائعاً استمراراً لحاجته لها وهـو رضيـع ، (يتجه للأم) لقد فطمت يحيى منذ زمان طويل يازينب ، رضيعك أصبح شاباً يشق طريقه بعزم ، ألست مشتاقة لحديثه ؟

زيـــنب : (تتجه للفتى) حدثني يايحيى ، كيف استطعت الوصول إلينا ، أنا مشتاقة لحديثك .

يـحـيى : لم يكن الأمر سهلاً ، فقد حوطوا المكان من جميع جوانبه بعد انفجارات الأمس ولكن مهما أحكموا الطوق تبقى هناك ثغرات ، وقد عاونني هذا الطقس المتجهم .. كان في صفي .

زيـــنب : أبعد الله عنك عيون الظالمين (تتجه إلى الجد) لقد قلت لي يا أبت أن الله سيحفظه وعلمتني أن أردد قول يعقوب "والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين" .

علـــيّ : وقلت لك أيضاً سيأتي يحيى في موعده .. إن له موعداً لن يخلفه .

زيـــنب : (تتجه إلى الفتى) ستبقى معنا فترة طويلة هذه المرة ؟

يـحـيى : (يبتسم بحنان) بل أغادر بعد قليل يا أماه (يصمت لحظة) وقد يطول غيابي هذه المرة .

زيـــنب : تغادر بعد قليل ؟ ويطول غيابك ؟

يـحـيى : نعم .. ومن أجل هذا حرصت على القدوم .. أردت التزود منك يا أماه كما أردت أن أنهي أمراً آخر .

زيـــنب : (مقاطعة) ولكن .. إلى أين يا بني ؟ أريد هذه المرة أن أسمع منك جواباً شافياً .. أريد أن أطمئن يايحيى .. أنا

بحاجة ماسة لمعرفة ما يدور في رأسك من لسانك .. وليس بالاستنتاج .. إلى أين يابني ؟ .

علـــيّ : تحدث يا يحيى .. من حق والدتك أن تطمئن .. من حقنا أن نطمئن . إلى أين يايحيى ؟

يـحـيى : (*يتسم وجهه بالجدية*) سأتابع السير في طريقي .. طريقنا هو طريق واحد ياجدي حدده الله لنا .

علـــيّ : (*بصوت عميق*) وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

يـحـيى : ليس أمامنا إلا أن نجاهد ونناضل .. هذا طريقنا وخلاصنا.

زيـنب : (*باهتمام*) هل اتضحت معالم الطريق أمامك يا يحيى ؟

يـحـيى : كل الوضوح . أراها بعيني بصيرتي يا أماه (*يقوم من مقعده*) عانيت الكثير حتي وضحت الرؤيا أمامي .. وعندها فقط أحسست براحة عظيمة .. (*يصمت لحظة*) ماكان أقسى الأيام والليالي التي أمضيتها في ذهول وأنا موزع أبحث عن طريقي .. كانت الأفكار أمواجاً تتقاذفني وتتلاعب بي .. مرة أشعر بالخيبة تسحقني .. تطحنني طحنا .. ومرة أصحو مثل غريق يتلمس نفساً يبقي عليه حياته .. يمنعه من الاختناق .. وأعاود التفكير بأمل فيلتبس على الأمر مرة أخرى وأعود للأمواج .

علـــيّ : ذهول النكبات يابني .. فيه من ذهول اليوم الأكبر.. يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى .

يـحـيى : ماكان أقساه .. (يتقدم) بدأ الأمـر حين بدت لي بوادر الكارثة في الساعات الأولي للهجوم الغادر ..(*يبدو عليه الانفعال*) واستفحل الأمر حين سقطنا سقوطنا العنيف وارتطمنا بالأرض يجللنا العـار وتحـيط بنا هزيمتنا النـكراء (*يصمت لحظة*) كـان وجـهك يأمـاه يلاحـقني .. رأيته في وجوه الملايين الذين خرجوا في جميع الساحات. وجـه تـحـجـر السـؤال فـيـه حـينمـا عـرف بالحـدس الجواب. وتجمدت الدموع في مـآقيه من هول المصيبة .. فارت الدماء من وجوه الملايين حين أحسوا بالهزيمة .

زيـنب : (*بمرارة*) وأي هزيمة كتبت علينا .. نهزم قبل أن نحارب .. بضربة غدر في ساعات معدودات .. انك تفتق الجروح يايحيى .

يـحـيى : ستبقي تنزُّ حتى نستأصل الداء .. ولن نحاول النسيان نسـيان ذلك اليوم . في ذلك اليوم تعذبت عذاب الهول يأماه وانا أمزق تحت وطأة الشعور بالإثم .. أحسست أنني مسئول عما حدث .. أحسست أنني مسئول عما تكابده الملايين من آلام ومعاناة .. وكلما فكّرت فيما حدث إزداد عـذابي شـدة . حتي همتني نفسي أن أنهي هذا العذاب ، أضع حداً له بالفرار .. أهرب إلى عالم النسيان .. ولكن لم أستطع لأني لم أتعود الفرار.

زيـنب : ولأن مكانك مع الملايين .. فأنت واحد منها .. لهذا ربيتك وتعبت عليك .

يـحـيى : طرحت فكرة الفـرار جـانبـاً ولجـأت إليك يا أمـاه وإلى

الملايين .. أفضيت لكم بكل ما في نفسي.. (*يصمت لحظة*) فجأة رأيت عجباً ..لم أحلم قط برؤيته .. الوجوه انطلقت دبت فيها الحياة والدموع انسابت حارة نقية من المآقي .. وتدفقت الدماء في العروق .. عادت الحياة يا أماه .. وانجلت أمامي بداية الطريق . أضاءها نور ساطع انبثق من شعبنا . ونادت الملايين بالصمود فأيقنت أننا لم نمت . وإنما خسرنا معركة .. تشبثت بالحياة .. بالصمود .. ورفضت مع الملايين الاستسلام . لن نستسلم .. هكذا هتفت .. وسنصمد . الصمود هو البداية. فعادت إليّ الحياة .

عليّ : عادت الروح .. وتحددت بداية الطريق .

زينب : (*بعينين دامعتين*) كنت أنا أيضاً أفكر فيك يايحيى . لم أغفل عنك لحظة .. حتي في تلك الساعات العصيبة التي تفجرت فيها الكارثة وعم الذهول كنت امامي .. كان وجهك هو الآخر يلاحقني كيفما نظرت حولي .. كنت أرى من خلاله عذاب أهلي .. (*تصمت لحظة وتقترب من يحيى*) لم أحدثك بعد عن تفاصيل ما جرى في تلك الساعات هنا .. لتعرف ما عاناه أهلنا من عذاب .

يحيى : (*مطرقا*) سمعت وأنا هناك بعضاً منه .. حرصت على أن أسأل كل قادم من عندكم عن أهلي .. فعرفت شيئاً من العذاب الذي عانيتموه .. سمعت عن حوادث النهب التي قام بها العدو ..إخراج الناس من بيوتهم .. المسجد الأقصى وما جرى فيه .

زيـــــنب : هذا قليل من كثير يا يحيى .

علـــــيّ : أسبوعان بطيئان طويلان رأينا فيهما الكثير .. منعوا الطعام والشراب عن الناس، قتلوا من قتلوا من شبابنا .. فرضوا على قرى بكاملها ومخيمات عديدة أن تنزح وتقطع عشرات الأميال سيراً على الأقدام في الحر اللاهب على غير هدى ، نسفوا البيوت.

زيـــــنب : بجملة واحدة .. استباحوا بلادنا .. ولأختصر فوقتك ثمين (تصمت *لحظة*) لك أن تتصور وجوه الناس إذن .. الوجوه التي رأيت وجهك من خلالها .. بدا لي وجهاً بائساً كأنه فقد كل شئ ، فلم يعد يطيق الحياة .. خشيت عليك من اليأس ومن أفكاره السوداء .. فناديتك بملء قلبي:" اصمد لا تستسلم " ففزعت من تصور أن أفقد كل شئ مرة واحدة .. رأيت أعواماً من الكد والجهد والذكريات تكاد تغور في هوة سحيقة فناديتك بكل ما عندي من المحبة والحنان " لا تهرب .. أصمد .. ولا تستسلم " تشبثت بك رغم كل شئ .. ثقة مني بك وبجيلك .. فأنتم رأسمالي الذي أحافظ عليه .

يـحـيـى : ما كان أكرم موقفك .. حتي كلمة لوم واحدة لم توجهيها لي ولجيلي حين عدت إليكم .

زيـــــنب : كنت أحس بك تتعذب عذاب الهول تحت وطأة الشعور بالإثم .. وأنا أعرف جيداً أنها ليست مسئوليتك وحدك .. لم يكن الوقت وقت اللوم .. وإنما وقت الصمود ، وبعد الصمود يكون لدينا متسع من الوقت للوم والعتاب .

يــحــيــى : فهمت وأدركت موقفك بعمق وقدّرتُه .. فلم أوفر نفسي حين رأفت بحالى وأجلت لومي .. بادءت نفسي بالحساب لأحدد بدقة انا الشاب مسئوليتي ومسئولية جيلي في هذه الهزيمة .

علــــــيّ : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً .. صدق الله العظيم .. المحاسبة تطهر النفس وتجلي معالم الطريق .

يــحــيــى : نعم ياجدي .. بدأت الحساب فبرزت أمامي أسئلة كثيرة (يتجه لأمه) كتلك الأسئلة التي برزت أمامك قبل عشرين سنة .. تذكرت حديثك لي عنها .. جاء دوري يا أماه كي أسأل كيف حدث الذي حدث ؟ لماذا حدث ؟ إن كان قد حدث ما يشبهه قبل عشرين سنه في عهود أدناها ولأسباب وعيناها ، فلماذا يحدث اليوم في عهدنا نحن ؟

زيـــــنب : العهد الذي عقدنا عليه الآمال وبتنا نعد الأيام للتحرير والعودة .

يــحــيــى : عانيت عذاباً من نوع آخر .. عذاب الشك .. وجهت الاتهام إلى نفسي وجابهتها به وباشرت المحاسبة . أعدت النظر في كل مافعلته طيلة حياتي وفي كل ما حدث من حولي .. انطلقت من الشك في جميع الأشياء لأصل إلى اليقين .

زيـــــنب : عانينا نحن أيضاً من عذاب الشك .. تحول كل منا إلى نفسه يتهمها ثم إلى أمته وقومه يتهمهم .. أعدنا النظر في تاريخنا لنتأكد من صورتنا فيه . إذ لم يكن ممكنا أن نحاسب جيلك يا يحيى بمعزل عنا نحن .

علــــــيّ : ما أكثر ما طرحت من أسئلة في تلك الأيام ياأم يحيى .

زيــــنب : أثقلت عليك بها .. وربما جاوزت لهجتي الاعتدال ، وربما خرجت عن الأدب في بعض الأحيان ولكني معذورة يا أبت كنت أود أن أتحقق من نفسي ومن قومي بعد أن زعزعني الشك. (*تتجه إلى يحيى*) أعرف عذاب الشك الذي عانيت منه يابني .

يــحــيى : كان الأمر بالغ القسوة في بدايته .. فقد بدا لي ياأماه أن الواحد منا نزاع إلى الهرب من مجابهة نفسه ، ميال لتبرير أخطائه وللإنحاء باللائمة على غيره .. (*يصمت لحظة*) ولكن القسوة لم تستمر ، سرعان ما تلاشت أمام روعة الشعور بتزكية النفس ، وما يتبع هذا الشعور من انتشار نور اليقين . يالذلك الإحساس . ما أروعه .

علـــــيّ : "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ". صدق الله العظيم . هذا كلام خالق النفس .

زيــــنب : تلوت عليّ هذه الآيات مرات وأنت تجيبني على أسئلتي ياأبت ، فجعلتها نبراساً لي أهتدي به في فترة المحاسبة. (*تتجه إلى الفتى*) أتعرف يا يحيى أنني راجعت نفسي في موقفها منك أنت .. أنت إبني وفلذة كبدي .. ساءلتها عن سيرتي معك وعن مدى توفيقي في أن ألقنك آمالي .. عن مدى نجاحي في حمايتك من أعدائك ومن نفسك حين تميل بك نفسك . وكانت كلمات أبيك التي تتهمني بإفسادك وتتهمك بعدم الشعور بالمسئولية تصم أذني وتنزل عليّ سياطاً تلهب نفسي . وقاسيت يا يحيى ولكني لم ألبث أن

تلمست طريقي مرة أخري بفضل حديث جدك (*تتجه إلى الجد*) لقد أنرت لي الطريق يا أبتاه .كأنـي بك لم تعـرف عذاب الشك .

علــــيّ : لا مـجـال للشك يا زينب حين نعي سنن الكون ، ونتـابع حركة الحياة، وهكذا أكدت لك أننا قوم لا نصبر على ضيم .. وقـدرتنا على الصـمود هائلة . أوضـحت لك أننا عـرفنا النكسات مرات وعانينا من الهزائم مرات ولكننا كنا لا نلبث أن ننهض وننتصر وننطلق .

زيــــنب : وكـشـفت لي إجـابتك يا أبت عن أسـبـاب تلك الهـزائم والنكسات. عن العلل التي تنخـر فينا فـتـوصلنا إليـهـا . (*تتقدم وسط الصالة*) غـفلنا عن بعض تلك العلل فكان ماكان ووقع ما وقع .. (*تتجه إلى الفتى*) غفلنا عن يحيى.

يـحــيى : لم يفت الوقت يا أماه . خسرنا معركة ولم نخسر الحرب سنعمل على إزالة تلك العلل سنتلافى ما كان من أخطاء ، لن نغفل مرة أخرى .

زيــــنب : نعم لم يفت الوقت يا بني .. وباستطاعتنا أن نعوض مـا خسرناه بتكافلنا مـعاً . إنني أثق بك وبجيلك على الرغم من كل ما حدث .

يـحــيى : ما أعظم المسئولية التي استشعرها لثقتك بي .. هذا دأبي منذ أن وعيت ما حولي .. كأن ثقتك بي تدفعني إلى العمل لأثبت لك ولنفسي أنها في موضـعـهـا .. وأحياناً يؤرقني شعورى بهذه المسئولية .. . ولعل هذا الأرق يكون حارساً لي يمنعني من الغفلة .

زيـــــنب : (*بمرارة*) الغفلة .. (*تهز رأسها*) ما أسوأ ما نجم عنها .

علـــــيّ : نعوذ بالله من الغفلة وساعة الغفلة .

يـحـيى : ما أسوأ أن نغفل ياأماه .. حقائق بسيطة واضحة غفلنا عنها فكان ما كان (*يتجه إلى جده*) أتذكر ياجدي حين كنت تروي لي أحداث الكارثة الأولي قبل عشرين سنة ؟ كنت تتحسر وأنت تتحدث عن تعدد جيوشنا التي خاضت المعركة .. عدة جيوش لا تنسيق حقيقي بينها .. فكان التعدد أحد أسباب الهزيمة (*يصمت لحظة*) كنت أستمع إليك فأقول لنفسي سنقضي على هذا التعدد .. وسنخوض الحرب بجيش واحد .. لن نسمح لتلك التجربة المرة أن تتكرر . (*يتابع بألم*) ومع ذلك خضنا الحرب من مواقع التجزئة .. بعدة جيوش كيف حدث ذلك ؟

زيـــــنب : الغفلة .. تسببت الغفلة في مآس مبكية ..ضربنا العدو جبهة جبهة .. كان طيراننا يتعرض للضرب في جبهة وينتظر لا يحرك ساكناً في جبهات أخرى .. وبينما جنودنا يتحرقون للبذل انتهى كل شئ .. (*بمرارة*) ثم يكتب ويقال إن مليونين هزموا مائة مليون ؟!!

يـحـيى : ماأسوا أن نغفل عن العلل .. لقد كشفت لي محاسبة النفس أيضاً أننا لا نزال أسرى رواسب عاني منها قومنا حين سيطر عليهم التخلف .. المجاملة على حساب المصلحة العامة .. تجنب المحاسبة .. وهذا يعني تفشي الإهمال والطامة الكبري حين نحاول ستر الاهمال بإدعاء الكمال والزعم " أن كل شئ تمام " .

زينب : انك تفتق الجروح يا يحيى .

يحيى : دعيها تنز يا أماه وتؤلم حتي نستأصل العلل .. وكلما سكن ألم الجروح فنلرش عليها ملحاً يلهبها .. لن نغفل مرة أخري .. (يتجه *إلى مقدمة المسرح*) فقد كان أفظع ما في الغفلة أن أفراداً من جيلي .. الجيل الذي حمل الأمانة وتسلم الزمام .. انحرفوا عن السبيل .. تنكبوه وانعطفوا للذائذ الدنيا .. نعم يا أماه .. حدث هذا وسمحنا له أن يحدث .

زينب : (*بمرارة*) الغفلة أيضاً .. (*بحدة*) ما أبهظ ثمنها يايحيى

يحيى : (*مطرق الرأس*) ثمنها باهظ يا أماه .

زينب : (*تهزه*) كيف نضمن ألا تتكرر ؟ .. كيف ؟ ما دامت قد حدثت مرة .

يحيى : بالحدود البينة الواضحة التي تقف سوراً على جانبي طريقنا المستقيم .. الحدود التي لا يسمح لأحد بتجاوزها .. ومن يتجاوز فلا بد أن يسقط .

عليّ : تلك حدود الله فلا تقربوها .

يحيى : (*رافعاً رأسه كأنه ينظر إلى بعيد*) هذه طريقنا ياأماه كما استبانت لي أولها الصمود ثم القضاء على كل العلل التي تنخر فينا .. التعدد والتجزئة ورواسب التخلف والاستغلال أصيلاً كان أو نتيجة انحراف ، علل يجب أن يقضى عليها، ثم عمل دائب مستمر يوفر لنا القوة التي ستحقق بها النصر .. (*يتجه إلى الأم*) مع بلوغي هذا المدى أحسست بصلابة الأرض التي أقف عليها ياأماه ،

وشعرت بثقتي في المستقبل فخرجت من عزلتي . فقد وجدت نفسي .

زيـــنب : وجدت نفسك فأصبحت مؤهلا للقيام بواجبك كواحد من رجال هذه الأمة .

علـــيّ : وأصبحت قادراً على الاختلاط بالناس من حولك .. فماذا وجدت ؟

يـحـيى : وجدتهم جميعاً منشغلين مثلي في تحديد معالم الطريق.. وإن كانوا قد سبقوني في الشوط الذي قطعوه .. كان الصمود عندهم بديهية لم يجتهدوا في الوصول إليها.. تجاوزها بسرعة للبحث فيما بعد الصمود .. فيما يعززه وما يليه من إنطلاق لإزالة العار واجتثاث العدوان من جذوره .

علـــيّ : نعم .. (*يهز رأسه*) نعم .

يـحـيى : وجدتهم يعرفون العلل التي تنخر فينا .. (*يسير جيئة وذهاباً*) أحسوا بها قبل أن تفضحها النكسة وتوجسوا خيفة منها .. وحين حدث ما حدث أشاروا بأصابعهم صراحة إلى ما كانوا يحسون به وانكشف .. ما أصدق فطرة الشعب .

علـــيّ : فطرة الله التي فطر الناس عليها يا يحيى .

يـحـيى : جددت معرفتي بقومي في تلك الأيام وتعمقت ..كنت ألتقي بهم في الجامعة في الشارع .. في المسجد .. كان حديثهم يمتلئ ثقة بقدرتهم على كسب المعركة الطويلة ..

علـــيّ : الشعوب هي التي تنتصر دوماً في النهاية .

يـحـيـى : كانوا مـتـمـسكين بحـقـهـم .. وويل لأي صـوت يشكك في قدرتهم ويلوح بالتفاهم مع العدو القريب أو العدو البعيد .

علـــــيّ : لا يتخلي الشعب عن حقه أبداً .. ولا يستسلم لظالم .

يـحـيـى : كأني اكتشفت قومي من جديد .. كان يلذ لي أن أراقبهم في الحي ..أراهم يعـودون في المســاء بعـد نهـار مليء بالعمل . ويتجمعـون في حلقات يسـتمعون إلى الأخبار ويتحدثون .. موضوع واحد يدور حوله الحديث بلا ملل .. موضوع المعركة (*يتجه إلى أمه*) محمـود البـواب ..لعلك تذكريه .. وأم عليّ بائعة المياه الغازية .. وعمال الجمعية .. كلهم كانوا منشغلين بالمعركة .

زيـــــنب : أذكرهم يايحيى .. كم أحببتهم وأنست لهم خلال زيارتي لك ..أعرفهم يابني فقد أمضيت حياتي أنا أيضاً معهم هنا .. في قرانا ومدننا .. أنهم جميعاً أبناء أمتنا نبتوا من شجرة واحدة ما أكثر ما يتحرقون على البذل في سبيل وطنهم .. يتوقون إلى انتصار الحق ويعشقون البطولات .. لعلك سمعتهم وهم يتسامرون كل مساء بأخبار فيتنام وما يفعله أبطالها الثوار بأمريكا .

يـحـيـى : سمعتهم وشاركتهم .. لم ألبث بعد المراقبة أن اندمجت فيهم .. وجدتهم يا أماه لا يخافون أمريكا ولا جاهها .. وساءلت نفسي عن تفسير لروحهم الغالية .. أهو عجز عندهم في تقدير قوة أمريكا ، وجهل منهم بما لديها ، أم ثقة بإرادة الشعب وإيمان فطري بانتصار الخير ، ذلك الذي يطرد الخـوف من قلوبهم ؟ .. تأكـد لي يا أمــاه أنه

الإيمان والثقة .. الوعي بسنن الحياة .

زيـــنب : هذا حال الشعوب يايحيى .. ولولا هذه الروح الشعبية لما استقامت الحياة ولما استطاعت الشعوب أن تقهر الطغاة الجبابرة المعتدين ، الذين يتسلطون عليها في غفلة منها ..والله يبارك هذه الروح .

علـــيّ : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير .. الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً .. كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .. الله مع المجاهدين يايحيى .

يـحـيى : (*تلمع عيناه*) والنصر لهم في النهاية .. عرفت روح الشعب ياأماه على حقيقتها في تلك الأيام .. وانطلقت من هذه المعرفة لأكتشف آفاقاً أخرى .

زيـــنب : (*بسرور واهتمام*) حدثني يا يحيى .. ماذا اكتشفت ؟ حدثني .. (*تلتفت إلى الجد*) هذه ليلة مباركة يا أبت .. فتانا ينطلق في حديثه للمرة الأولي منذ وقوع الكارثة (*تلتفت إلى الفتي*) حدثني .. أنا بحاجة ماسة إلى أن أسمع منك بعد أن طال صمتك فجأة على غير عادتك حتي حسبت أنك تغيرت .

علـــيّ : ألم أقل لك أنه تغير طبيعي .. تغير مطلوب .

زيـــنب : لكن صمته طال .. وصبري كاد ينفذ .

يـحـيى : أعذريني ياأماه .. أعرف أن صمتي أثقل عليك .. ولكن كان لابد منه .. نذرت على نفسي أن أصمت حتي أتبين طريقي بتفاصيله .. الصمت رياضة عنيفة أتاحت لي أن

أسبر أغوار نفسي .. أنظر في أعماقي .. أتأمل ما حولي .. أردت أن أخلص من دوامة الضجيج الذي كان يملؤ رأسي .. جعلت الصمت سبيلي لتصبح أفعالي أكبر من أقوالي .. الصمت يا أماه مفجر الكلمة التي تزلزل .

زينب : بت تواقة لسماعها بعد أن أخذ منا الصمت حظه .. حدثني ماذا اكتشفت ؟ أين وصلت يا يحيى ؟

يحيى : حددت مكاني في العمل ووضح لي كيف أعمل .. (يقوم ويمشي ثم يقف) كان لابد من ذلك حتي أباشر تأدية دوري .. وجاء التحديد والوضوح بعد جهد بذلناه أنا وأصدقائي.

زينب : من ؟ مجموعة الفرسان .. العصبة العربية المؤمنة ؟

يحيى : نعم .. إنك لم تنسهم ياأماه .

زينب : وكيف أنساهم ؟ كل واحد من منهم من بلد عربي جمعتكم الدراسة في الجامعة ويبدو أنكم تلتقون على أهداف .. كأنكم أردتم أن تمثلوا وحدة أمتنا وآمالها .. لن أنسي لقائي بهم في بيتك حين كنت في زيارتك . انشرح صدري لرؤيتهم .

يحيى : كنا نلتقي يومياً في الجامعة خلال تلك الفترة الدقيقة وجميعنا خارج من عزلته . ساعات طويلة أمضيناها في الحديث والنقاش حول ما جري وحول ما ينبغي أن نصنع التغيير .. (يصمت *لحظة*) كيف ؟ كان هو السؤال الذي يلح .. وفي أحد الأيام استبان لنا الجواب .. لن أنسي ذلك اليوم .. كان عبد الرحمن عائداً من زيارة بلده

السويس، وكنا متحلقين حوله نستمع بنهم لآخر الأخبار.حدثنا عن التهجير لتصبح المنطقة جبهة عسكرية .. وصف لنا الروح التي لمسها لدي المرابطين هناك على خط النار وتحدث عن إعادة بناء القوات المسلحة العربية .. ثم (*يتذكر بانفعال*) ثم أنشد أغنية شعبية نبتت هناك مع أغاني عدة .. (*جوقة تنشد الأغنية ويشترك يحيى في الإنشاد*)

ياللا يا شعب العروبة

قوم .. ثور .وافرض كلمتك

واصرخ بأعلى صوت

خض الليل.وازرع ويل..لعدو أمتك

وهات للعروبة نهار

دم .. ونار .. ذوّق سكتك

واحمي بلادك علشان

ولادك يعيشوا قصتك

فلسطين .. فلسطين يا ثاري

سينا .. سينا يا ناري

يا قبر إخواتنا اللي ما حاربوش

راحوا غدر ولا لحقوش

يقولوا للشعب قوم قول كلمتك

راحوا غدر ولا لحقوش

يقولوا للشعب قوم قول كلمتك

وارفع سلاحك واحمي ثورتك

واعرف عدوك وانشد غنوتك

اللي يخون قضية بلده لازم

لازم .. لازم يموت

(*تخرج الجوقة ويتابع يحيى*)

يـحــيـى : في ذلك اليوم ودعنا عبد الرحمن ، فقد استشارنا في قراره بالعودة إلى السويس ليرابط مع المرابطين فأيدناه .. كان واضحاً لنا جميعاً أننا وصلنا للجواب الحاسم .. وأعلن خالد زميلنا الصعيدي أنه سيلتحق بالجيش ضمن الفرقة الجديدة التي تضم المثقفين .. (*يصمت لحظة*) وتتابع الأخوة كل يتحدث عن برنامجه في موقعه .

زيـــنب : عرف الشباب دوره .. صوت المعركة يعلو .

علـــيّ : وساحة معركتنا مع عدونا كبيرة تمتد من المحيط إلى الخليج .. أينما وجدت مصالح له .

يـحــيـى : حدد كل منهم مكانه والتفتوا جميعاً إليّ .. (*يصمت لحظة ويتقدم إلى مقدمة المسرح*) .. بدا لي أن نظراتهم تسألني : " ما سبيلك أنت لتلبية النداء ؟ " لن أنسي تلك النظرات .. كانت مفعمة بالمحبة ولا تخلو من إشفاق .. كانت تقول:"أنت ياابن الأرض المغتصبة ..أين موقعك ؟ كيف السبيل إلية؟"

زيـــنب : (*بمرارة*) ابن الأرض المغتصبة .. يا من تشردت مرتين ومنعت من أرضك .. فلم يبق لك موقع محدد .

يـحــيـى : كانت تلك مأساتي طيلة عشرين سنة .. وقررت أن أنهيها .. أجبتهم .. سأعود أنا الآخر إلى موقعي .. إلى أرضي

.. أرضنا المحتلة .. سأعود لأباشر العمل هناك مع إخوتي (*يشير إلى لوحة المسجد الأقصى*) .. سنقاوم العدو كما ينبغي أن تكون المقاومة .

علـــــيٌ : اتخذ ابن الأرض قراره وأعلنه .

يـحــيى : (*يتجه إلى الجد*) أعلنته فغمرتني راحة عظيمة (*يتجه إلى الأم*) لم يكن قراراً إنفعالياً ياأماه .. لم يكن وليد ذلك اليوم .. كان حصيلة تفكير طويل في ليال مليئة بالسهد .. كان حلماً عمره عشرين سنة .. عشرون عاماً عاشها معي.

زيــــنب : حلم ولد معك وترعرع معك .. ولم يفارقنا نحن أيضاً طيلة تلك السنين .. سنين التشرد والشقاء .

يـحــيى : سنين التشرد والشقاء .. مرت صورها في شريط سريع أمام ناظري في اللحظة التي سبقت إعلان قراري .. (*يتقدم إلى مقدمة المسرح*) النزوح الأول كما رسخت صورة في رأسي من خلال أحاديثكما عنه .. النزوح الجديد الذي نعيشه اليوم بعد أن اتسعت الرقعة فزاد عدد المتشردين .. تشرد اخوتنا في الجولان وفي سيناء أيضاً .. صور التشرد طيلة العشرين سنة .. طوابير المنتظرين للإغاثة .. سجنهم الكبير .. محرومين فيه من حرية التنقل .. يستجدون فيه حق العمل .. أبسط حقوق الإنسان . يقابلون بنظرات الازدراء والاتهام يعيشون يؤرقهم الحنين.

زيــــنب : الحنين بروعته ومرارته .. ما أقساه إن طال العيش فيه .

يـحــيى : تتابعت أمامي صور الحنين .. أحاديث المساء في طفولتي

حين كنت تهـمـسين يا أمـاه لي : " هناك على التل عند شاطئ البحر .. تقف عروس البحر تنتظرنا .. يافا مدينتنا عروس البحر يا يحيى . . اغتصبها العدو وحين تكبر ستقاتله وتستردها ".. نما الحنين في صدري وكبر حتي أصبح ناراً تؤججه فأخفف عن نفسي بالزفرات.. ولم تعد الزفرات تفيد .

زيـــنب : عشنا أيامنا مع أغاني الرجوع " سنرجع يوماً إلى حينا" سنرجع ذلك الوطنا .. راجعون .. راجعون .

يـحـيى : وكلها تؤجج نار الحنين .. كان كل شئ يؤجج ناره .(*يلتفت إلى جده*) القـصص التي رويتـها لي عن ربوع بلادي .. عن أجدادي .. وحين شـببت عن الطوق وأصبحت قـادراً على المتابعة وحدي .. كانت كل قراءاتي تؤجج نار الحنين .. عثرت مـرة على كتـاب يقص تاريخ بلادي وفـيه صـور لمدينتي فكأنني عـثرت على كنز .. وقـرأت بنهم كل حـرف (تدمع عيناه) الجـمـيع شـهدوا لـهـا بالجـمـال .. فـي كل اللغات اسمها جميلة .. عرفت حينا من خلال تلك الصور .. عـرفت الشـواطئ التـي كنت تلعبين فـيـهـا يأمـاه في طفولتك من خـلال أحـاديثك لي عنها .. (يزفر) الحنـين .. مـا أقسـاه ومـا أحـلاه .. كم دمـعت عـيناي مـع أناشـيد نضـالنا: " وطني أنت لي والخصم راغم ، موطني الجـلال والجمال والسناء والبهاء في رباك .وكم بكيت مع قصائد شـعرائنا .. (ينتفض) هذا هـو الحنين .. كـان يقـول لي شيئاً واحداً .. لن تسكتني إلا بالرجوع .. (يشرق وجهه)

وصممت بيني وبين نفسي ألا يكون هناك نزوح جديد (بهدوء) صممت ألا أتشرد مرة أخري .وقررت أن أبدأ من هنا ..من أراضينا المحتلة . ورجعت يا أماه لأبدأ .

عليّ : هذا سبيلك لتلبية النداء .. اتضحت أمامك الطريق .

زينب : رجعت يا يحيى لتبدأ من هنا وبدأت .. فأين وصلت أريد أن أطمئن ؟

يحيى : لا زلت في أول الطريق ياأماه .

زينب : أعرف أنك لازلت في أول الطريق .. أريد ان أعرف ماذا تفعل ؟ وماذا تفكر أن تفعل ؟ .. لم أسألك من قبل في هذا الموضوع لأعطيك فرصة .. كنت أحس بك ترتب أمراً وتجهد نفسك بالعمل .. ولكني رأيتك تلوذ بالصمت فاحترمت صمتك .. وقد حان الوقت لتتكلم .. ماذا تفعل ؟

يحيى : أجوب ربوعنا أقاوم العدو مع إخوتي يا أماه .. فلسطيننا اليوم كلهامحتلة ومعها سينا والجولان .. لم تعد هناك خطوط تفصل بينها .. سأجوبها قرية قرية وشبراً شبراً مع إخوتي وننازل العدو أينما وجدناه .

زينب : (تقاطعه) وماذا بعد ؟

يحيى : (*يرتسم التساؤل الجاد على وجهه*) ماذا تعنين ياأماه ؟

زينب : ماذا بعد ؟ كم سيقدر لكم أن تستمروا ؟

يحيى : هل تعنين ؟

زينب : (بحزم) هو مافهمت .. متي تعود إليّ محمولا بلا حراك .. بفعل رصاصة إسرائيلية متربصة أو بطعنة خنجر غادرة ؟ تعود وينفض الجمع .

يــحــيى : (*بدهشة*) تخافين أن أموت ؟ أن أستشهد ؟ أنت يا أمـاه أنت التي علمتني ألا أخـاف الموت .. وأنشـأتني على طلب الشهادة .

زيـــــنب : (*بقوة ومرارة*) بل أخـاف انفضـاض الجمع .. لا أقبل أن ينفض قـبل أن يحـقق هـدفـه .. لن أرضـي بالموت إلا على طريق الهدف .. يجب ان يكون للموت ثمن .

يــحــيى : الموت في طريقنا حـياة ياأمـاه .. تجسـيد للبطولة .. لقـد ارضـعتني قـصص البطولة حـتي صـرت أدعو ربي كل ليلة أن يرزقني الشـهادة .. (*يقف أمام أمه*) كنت تقـرأين لي قصـائد شعرائنا عن الشـهيد فيبدو صـوتك قويـاً وإن تهدج .. وتشـع عيناك بالعزم من خلال الدمع .. (*يسير ببطء إلى مقدمة المسرح وينشد*) ..

ســـــار في منهـــج العــــــلا
يـطـــرق الخلـــــد منـــــزلا
لا يبيـــــالي .. مكبــــــــــلا
نـــالـــــه أم مـــــجـــنــدلا
فهـــــو رهـــــن بما عـــــزم
ربمــــــا غـالـــــــه الــــردى
وهـــــو بالسجـــــن مرتهـــن
لـم يشـــــيع بـدمــــــعـــة
مـــــن حبيــــــب ولا سكـــــن
ربمـا أدرج الـتـــــــــــراب
سليبـــــــاً مــــــن الكفـــــن

لســـــت تـــــدري بطاحــهـا

غيـــــبته أم القنـــــــــــن

(*يصمت لحظة ويتابع بتأثر*) ..

لعمـــري أني أري مصـــرعي.

ولكـــن أغـــذ إليـــه الخطا

أري مقتلي دون حقي السـليب

ودون بـلادي هـــو المبـــتغى

وجسم تجندل فـوق الهضـاب

تنـاوشـــه جـارحـات الفـــلا

فمـنه نصـيب لطيـر السـماء

ومـــنه نصـيب لأسـد الثـرى .

(*يتحول إلى أمه*) أخـذت هذا وغـيره عنك ..(*يتلفت إلى الجد*) وأخذت عنك الأقوال الكريمة في الشـهادة وقـصص شـهدائنا الأبرار .. فكيف نخـاف الموت وهو الذي يعطينا الحياة ؟

زيـــــنب : (بقوة) قلت لك بل نخاف انفضاض الجمع .. ولن نقبل أن ينفض مرة أخري قبل أن يحقق هدفنا .. (بمرارة) لقد سئمت البطولات المجردة .. التي تقف عند كونها بطولات فردية .. تقف دون أن تأتينا بالنصر .. (*تقف في مواجهة الفتي وتهزه*) أريد النصـــر يايحـيـى .. لا أريد مـــجـرد البطولة .. أود ان أشـعر بأننا وضـعنا أقـدامنا على دربه ولن يهمني كم يطول السير فيه مادمنا سنصل.. لن نبالي بالثمن الذي سندفعه مـهما غلا .(*تهز الفتى*) أتفـهمني

يايحيى .. أنا لا أخاف الموت .. ولكن كفاني ما نلته من البطولات المجرده في حياتي .. (*تسير إلى مقدمة المسرح*) شيعت آلاف الشهداء موكباً .. تلو موكب .. فارقونا يحلمون بالنصر ولازالوا ينتظرونه كأني بهم كانوا يأملون مثلنا أن تأتي به هباتنا المتتالية .. وفي كل مرة كانوا يفجعون بنكسة وبخمود هبة .. من أجلهم ومن أجلنا أطلب النصر .

يحيى : (*يقترب منها ويمسكها بحنان*) فهمتك يا أماه.. فهمت ما تعنين .. لن يكون عملنا هبة سرعان ما تخمد لن يكون عملاً فردياً ولا مجرد رد فعل .. سيكون عملاً أصيلاً موزوناً يوصل إلى الهدف .

زينب : كيف ؟

يحيى : سنصيب الهدف حين يتفجر شعبنا ثورة لاهبة .. تستمر فيها المقاومة وتعم وتتصاعد .

زينب : شعبنا معبأ يا يحيى وما أسهل أن يتفجر غضباً ونقمة والمطلوب أن يتفجر ثورة .. كيف نمكنه من ذلك ؟ هذا هو السؤال أوجهه لك ولإخوانك .

يحيى : بأن نوجد أداة الثورة يا أماه .. الأداة التي تنظم حركة الشعب .. تعبئ طاقاته .. تحشدها ثم تفجر .. وحين تفجر تحكم التفجير .. لا ثورة بلا أداة يا أماه هذه عبرة التاريخ (*يتجه لجده*) وخلاصة قصصك ياجدي وحصيلة دراستنا لواقعنا هنا .

عليّ : (*يهز رأسه*) تنشب الثورة حين يتهيأ الشعب وتتوافر

لديه الأداة .

يـحـيـى : (*يتقدم إلى الوسط*) شعبنا مهيئ للثورة على الغاصب وعلى الظالم .. كانت استجابته لتحدي الكارثة أن يصمد ويقاوم .. فتطلع إلى المقاومة وسعي لها سعياً .. كل فرد وفق اجتهاده .. فبرزت صور كثيرة للمقاومة على أشكالها .. رفض التعاون مع العدو المحتل .. قاوم تغيير مناهج الدراسة .. قاطع بضائع العدو .. (*يصمت لحظة*) وشهر السلاح في وجهه .. فعل شعبنا هذا كله وسط أقسي الظروف .

زيـنـب : فعله مراراً .. فشأنه في الملمات والنكسات أن يصمد ويقاوم ويبذل غاية البذل ، لا تزيده قساوة الظروف إلا إصراراً .

علـيّ : شاء الله أن ينبت في هذه الأرض المقدسة ، فربط مصيره بها ، وشرفه الله بواجب حمايتها والذود عنها .. وشاء الله لهذه الأرض أن تكون في قلب وطننا الكبير في هذا المركز الوسط من العالم ، فتحدد تبعاً لذلك دور شعبنا في أمته .. هو الذي يتلقي الضربة وهو رأس الحربة ،.. تستهدفه الضربة القوية بعد الأطراف فيعيش أعنت الظروف .. ثم تكون هبته ويلتحم أخوته به فيخوضوا المعركة الفاصلة ويحققوا النصر .

يـحـيـى : نعم ياجدي .. هذا ما كان يوم استهدفتنا الغزوات الغربية التي تسترت ورا الصليب .. صمدنا عشرات السنين ثم جاء صلاح الدين وحطين . وهذا ما كان حين داهمتنا

موجات التتار حاملة الخراب والدمار ، قادمة من الشرق في طريقها إلى الغرب .صمدنا مرة أخري ثم جاء سيف الإسلام وعين جالوت . وهذا ما هو قائم اليوم منذ أن دخل اللنبي حفيد أولئك الغزاة الغربيين بلادنا واحتل القدس .

زينب : وصاح صيحته الخبيثة " الآن انتهت الحروب الصليبية " ثم تلاه بلفور بتصريحه المشئوم الذي جلب الغرباء الغاصبين فمتي تكون المعركة الفاصلة الجديدة .. متى يا يحيى .

يحيى : لقد باشرنا صنع الأداة .. وبدأنا تنظيم طاقاتنا .. وجدت النواة ياأماه .

زينب : (*يشرق وجهها*) ستعم الثورة إذن في يوم قريب ما دمتم باشرتم .. ما أعظم لهفتي على رؤية ذلك اليوم سنكون معاً نعمل بدأب .

يحيى : وستكبر النواة وتتكاثر .. فتنتشر في الشرق والمغرب .

زينب : (*حالمة*) تنتشر فتحقق الآمال الكبيرة .. تغير وتبني (*تتجه إلى الجد*) أيكون ذلك في وقت قريب يا أبتاه ؟

عليّ : (*يهز رأسه*) سيكون ياأم يحيى .. ولكن بعد جهاد وصبر.

زينب : (*تتنبه وكأنها تحدث نفسها*) نعم .. بعد جهاد وصبر.كأني رأيت ذلك في الحلم (*تتجه ببصرها إلى صورة الأب*) وعيناه .. وتلك العيون التي رأيتها تحيط به وتهدده .. أتترك النواة وشأنها ؟ (*تلتفت إلى يحيى*)

أتعرف ماذا يخبئون لكم ؟(*في لهجتها خوف*) سيحاول العدو القضاء عليكم .

يـحـيى : أعرف جيداً يا أماه .

زيـــنب : ستعيش مطارداً .. فحتى في بيتك هنا أنت لست آمنا أتعرف ذلك ؟

يـحـيى : أعرف يا أماه .

زيـــنب : (*تشير إلى صورة الأب وهي تخاطب يحيى*) أنه يعرف حقيقة نشاطك ..وهو يريد أن يراك .. لقد هدد بأنه سيعلن موقفه منك إن لم تستجب لإرادته وتنتهي من أعمالك .. وأنت تعرف موقفه .

يـحـيى : أعرف يا أماه (*بمرارة*) وهو ينشط الآن لإقامة الدويلة .

زيـــنب : بلغ به الأمر أن وجه الدعوة للحاكم العسكري والقنصل الاميركي لتناول الطعام في بيتنا .

يـحـيى : *يهز رأسه*) هكذا !! (*يسير جيئة وذهاباً*) أنا أيضاً أريد أن أراه .. هذا هو الأمر الآخر الذي جئت من أجله .

زيـــنب : (*متسائلة*) تريد أن تراه ؟؟

يـحـيى : نعم.. سأحاول ما في وسعي لأقنعه بمساعدتنا في عملنا. أو على الأقل بالكف عن نشاطه الحالي .. (يصمت لحظة) يجب أن يفشل مشروع الدويلة .. إن شعبنا ناقم ونقمته مباركة لأنها تجابه العدو .. وستتحول بالتنظيم إلى قوة وعمل يتحقق بهما أملنا في التحرير .. العدو يعرف هذه الحقيقة ويخشاها .. ومن هنا فهو يحاول إلهاءنا بدمية .

علـــيّ : صدقت يا يحيى .. ودمية اسمها دولة تلبس صولجاناً

وأمامها طبل ضخم .

يـحـيـى : ويبدو أن اللعبة جازت على بعض رجال قومنا .

زيـنب : (*بمرارة*) لا أظنها غفلة منهم فالعملية مفضوحة يتصدرها مشبوهون ..

يـحـيـى : لعله اليأس والظروف الطاحنة التي عاشوها عشرين سنة .. لذلك سنمد يدنا لهم بإقناعهم أن يقفوا موقفنا ويكفوا عن السير في المشروع .

زيـنب : (*تقاطعه*) اقناعهم ؟ لن تصل معهم إلى شئ .. لا جدوى.

يـحـيـى : إنهم من قومنا .. سأحاول بالإقناع أولاً .

زيـنب : ليتك تنجح يا يحيى . ليتكم تنجحون (*كأنها تخاطب نفسها*) أتمني من صميم قلبي أن يعود كما كان ، وسأنسي كل ما حدث .. ما كان أحلي أيامنا الأولى ، وما أحلي المودة والوئام في الأسرة الواحدة .. والدم يحن (*تتحول إليهما وتنقل النظر بينهما*) أممكن أن يعود .. هل سيحدث هذا .. (*تخاطب الجد*) ماذا تقول ياأبت وأنت أدري الناس به.. هل ينجح فتانا في اقناعه ؟ أراك صامتاً .. لقد حاول إبراهيم من قبل .. ذكرني بتلك الآيات.

علـيّ : (*يرتل*) واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا . إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا . يا أبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهديك صراطاً سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت إني

أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا .

زيـــنب : حاول ابراهيم .. فماذا كانت النتيجة ؟

علـــيّ : (*متابعاً*) قال أراغب أنت عن آلهتي ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًا .

يـحـيى : صدق الله العظيم .. سنحاول مثلما حاول إبراهيم لنطمئن .. وقد قال الله لإبراهيم أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي .. (*يتجه إلى الأم*) ولنكسب بعض الوقت فنحن بحاجة إلى بعض الوقت ، ولنحاول أن نتجنب صراعاً آخر.

زيـــنب : (*بتسليم*) حاول يابني .. افعل ما تراه مناسباً فأنا أثق بك .ولو إني أشعر أحياناً بأن صبري يكاد ينفذ يا يحيى.

يـحـيى : سأطالبك بمزيد من الصبر .. وأنا أعلم كم هو شاق عليك بعد كل الذي عانيته منه .. لا أملك لك الآن إلا أن أقول أصبري ..(*ينظر إليها بمزيج من المحبة والإعجاب والإشفاق*) أعرف كم عانيت منه .

زيـــنب : لم أعد أفكر فيه من زاويتي الشخصية .

يـحـيى : ولذلك فالذي يهمنا الآن أن نفشل خطط العدو .

(*يسمع صوت سيارة قادمة*)

زيـــنب : السيارة المعهودة .. (*تخاطب يحيى*) تعال ، الأفضل أن تتواري في الداخل فقد يدخل أحد معه .

يـحـيى : سأقف في هذا الركن .. (*يتجه بسرعة إلى جوار الباب الرئيسي*) .

(*يفتح الباب ويدخل الأب.. ويسمع صوت السيارة تبتعد*) .

* * * * *

حسن : (*ينقل نظره بين الجد والأم*) صباح الخير .. أراكما ساهرين حتي هذه الساعة .. ايه ..لا زلتما في انتظاره ؟ (*يستقر بنظره على الأم*) بل لعله وصل .. (*يري المعطف قرب المدفأة*) أراهن أنه وصل .. أين هو ولدنا البار؟(*يشي صوته بمزيج من النفاق والتهكم*) .

يحيى : (*يتقدم من الركن*) نعم وصلت ياأبت .. ها أنذا أمامك بلحمي ودمي (*يقبل عليه مبتسماً ومحييا*) أرجو أن تكون بخير .

حسن : (*ببعض الارتباك*) إنني بخير .. وأنت ؟

يحيى : الحمد لله .. أنا بخير .

حسن : تبدو صحتك جيدة على أي حال .. وها أنت قد سلمت من الوقوع في قبضة السلطات حتي الآن .

يحيى : (*مبتسماً*) لا تقلق من ناحيتي .. لن أمكنهم من نفسي سيكون صعباً عليهم أن يظفروا بي .

زينب : (*تحوط بيدها*) وسيحفظه الله .. إن الله معه .

حسن : (*بلهجة خاصة*) السلطات تطلبك بإلحاح .. صدر أمر باعتقالك منذ ثلاثة أيام لقد صارحني الحاكم العسكري بالحقيقة الليلة .

يحيى : أعرف ذلك .. (*بثقة*) سيجهدون أنفسهم .

زينب : الكلاب المجرمون .. يصدرون أوامر اعتقال بالآلاف .

حسن : (*يخاطب الأم*) أراك جزعت .

زينب : (*تنظر إليه شرزاً*) لا مكان للجزع .. ولكنه الغيظ الذي سيتفجر نقمة .

حسن : (*يتجه إلى يحيى*) إنهم يرصدون حركاتك وسكناتك .. نجوت منهم هذه المرة فهل ستنجو مستقبلاً ؟

عليّ : ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

يحيى : (بثقة) نحن أيضاً نرصد حركاتهم وسكناتهم .

حسن : (*كاتماً غيظه*) أنتم ؟ من أنتم ؟ من تقصد ؟

يحيى : (بهدوء) واضح ما أقصده .

حسن : (*بازدراء*) لعلك تقصد ذلك النفر من الشباب الغض.. لا تملأ يدك منهم .. ما أسرع ما يقع الواحد منهم في الشرك المنصوب ، وأسرع من ذلك اعترافه بمجرد ما يلوح له بالتعذيب ، تخور قواه فينطلق لسانه .. (بسخرية) تتساقط السلسلة وتتكشف الحلقات (بشئ من *الفخر*) أين هو من جيل كان يصمد أمام الأهوال .. كنا لا نبالي بشئ حتي الموت . لا تملأ يدك من جماعتك .

يحيى : (بهدوء) يكفي الشباب فخراً أنه أبى القعود . سيسجل لهم فضل البدء في إشعال نار المقاومة التي تحرق العدو .لقد دخلوا أتون المعركة واختاروا الانصهار بحرارتها . سرعان ما سيتطهرون من كل شائبة فيتألق معدنهم الثمين يشع ضياء وجمالاً وينفع الناس . إن كان هذا الشباب اليوم طري العود كما يقول البعض فسيصلب عوده ويشتد ؟

عليّ : سيشتد .. " كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى

على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار " ..

زيـــنب : صدق الله العظيم .. ذلك مثلهم في كل عصر .

يـحـيى : وقد يقع بعضهم في الطريق ولكن الركب في تقدم مستمر .. ستمحصهم النكسات العابرة وتعلمهم دروساً وعبراً فيزدادون قوة .. (*يواجه أباه*) ألم يكن الرد قوياً يوم أمس ؟ رد المقاومة على اعتقال مناضليها ؟

زيـــنب : لقد اهتزت له المنطقة (*بإعجاب ظاهر*) كانت ضربة رائعة.

علـــيّ : ذكرتني بمثيلات لها قبل ثلاثين عاماً .

حـــسن : (*بغيظ*) .. ويردون هم رداً أعنف وأقوى .. هل حسبتم حساب ردهم .. أم أن ذلك ليس من شأنكم؟ استمع إذن (*يقوم ويتمشي*) لقد قرر الحاكم العسكري أن يعاقب المنطقة كلها ، المدينة وجميع القري ، سيعزلها عن بقية المناطق لأجل يحدده هو، سيقطع الماء والكهرباء عن الأهالي مساء الغد إن لم يتم القبض على الذين قاموا بالعملية ، وقد أصدر أمره بمباشرة نسف بيوت من يشتبه بهم ، واعتقال المشبوهين ..(*يقف أمام يحيى*) هذا هو الرد . هل فكرتم كم سبب لنا من أضرار ؟ هل فكرتم بمصالح الناس التي تتعطل ؟

يـحـيى : كل ذلك متوقع ومحسوب حسابه .. (*بهدوء*) وسنرد نحن.

حـــسن : (*بانفعال واضح*) هيه .. ويرد هو بدوره .. وتستمر الدورة والناس يطحنون بين شقي الرحى .. حتي تنقطع أنفاس أحد الطرفين .. فهل أنتم قادرون على مجاراته ؟

يـحـيـى : (بثقة) سنكون قادرين .. ان مجرد اندفاعه في الرد دليل واضح على فشل سياسته .. لقد جهد كي يجعل الحياة تبدو طبيعية في أراضينا المحتلة فأين هي هذه الحياة الطبيعية ؟

حــسـن : (بتحد) هل تتوقعون أن يتحمل الناس هذا العنف ؟ في سبيل ماذا ؟ سيتخلون عنكم ..لن يرضى أحد أن ينسف بيته ، وتمتهن كرامته .. لن يفتحوا أبوابهم لكم .

زيـنـب : (بتقرير) سيبقى باب بيتنا مفتوحاً يا يحيى .. لن أوصده (*ينظر إليهما الأب شزراً فتتحداه بنظرتها*)

يـحـيـى : (بهدوء) وأبواب كثيرة ستبقى مفتوحة .. بيوت الناس المؤمنين ، وشعبنا مؤمن ، ونحن جميعاً شيء واحد (يصمت *لحظة*) لقد جهد العدو أيضاً أن يبرزنا كطرفين (بتهكم) مدنيين مسالمين ومخربين خطرين ..(*يقف أمام الأب*) الشعب يؤمن بالمقاومة .. إنها حقه المشروع .. والناس على استعداد للبذل يا أبت ،.. وردود العدو ستزيد في إصرارهم .

زيـنـب : المقاومة حقنا المشروع . فالأرض أرضنا .

يـحـيـى : وبإرادة الشعب وقدرته ستحسم الثورة لصالحه .. لن نكون قادرين على مجاراة العدو فحسب بل سنتجاوزه ونقطع أنفاسه .

عـلـيّ : "اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير" .

يـحـيـى : ليس ما نقول بدعاً .. ذلك هو قانون الثورة (في مقدمة

المسرح) الإحتلال والاغتصاب والظلم عادة يولد المقاومة يجابهها المحتل الغاصب والظالم بالعنف والعسف بالإضطهاد والإرهاب .. فيزيد في حدة المقاومة .. يغذي أوارها . فيحبل الشعب بالثورة .. ثم تفجرها طلائعه .ثورة مباركة تطوق المحتل الغاصب الظالم وتأتي بالنصر للشعب (*يصمت لحظة*) نعم دوماً ينتصر الشعب في النهاية .. ذلك ما تؤكده قصة الإنسان .

زيـــنب : (*حالة*) تتفجر الثورة وتعلوا إرادة الشعب .. إرادة الشعب حق وهي جزء من إرادة الله .

علــــيّ : وذلك هو وعد الله (*مرتلا*) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً .

يـحـيى : (بتصميم) ستنفجر الثورة وسينتصر الشعب .. هذا طريقنا ولا نرضي بالنصر بديلاً .

زيـــنب : (*كأنها تخاطب نفسها*) لا بديل للنصر .

حــــسن : (بانفعال) النصر . النصر ..كلنا نريد النصر .. من منا لا يوده ويتمناه ؟ ولكن هل يجدي التمني ؟ (*يقوم من مجلسه متفجراً*) أي نصر هذا الذي تحلمون به ؟ لعله كذلك الحلم الذي حلمتم به في حزيران ؟ أنسيتم ما جري في حزيران ؟ (*يتقدم إلى واجهة المسرح*) ثلاث هزائم في عشرين سنة (*بازدراء*) .. وترددون الألفاظ البراقة..شعب

.. ثورة تتفجر .. قانون الثورة .. لا بديل للنصر وكلمات أخري تجترونها .. (يرتفع صوته) استيقظوا أفيقوا من أحلامكم .. (بتهكم) أم لعلكم تنتظرون كارثة أخري ؟

يحيى : الكارثة أن نقعد ونستسلم .. هذا ما يؤمن به الشعب .

حسن : أين هو الشعب الذي تتحدث عنه ؟ هذا الركام من البشر الغارقين في الجهل والجهالة ؟ (بقرف) هذه القذارة وهذا المرض ؟. أهذا هو الشعب ؟ مخلوقات تعيش في سرداب سحيق في تخلف يفصلها عن العالم .. (يصمت *لحظة ، ويردد*) العالم الذي دخل عصر الفضاء .

يحيى : صفهم بما شئت ،.. هذا لا يغير من حقيقة أنهم شعبنا .. وشعبنا يريد الحياة .. ولذلك اختار الثورة ليقضي بها على رواسب التخلف فيه ، وعلى كل العلل وليحقق انبعاثه الجديد فيجدد ماضيه العظيم .. وليضرب عدوه فيعلى كلمة الحق .

حسن : (بتهكم) بماذا سيضربه ؟ عدوك عملاق سلاحه العلم والنظام وكل شئ عنده بمقدار ؟ (*بانفعال*) هذا العملاق يسيطر على مقدرات العالم .. رأسه هناك في أمريكا ويده هنا ، وله أطراف في كل مكان .

يحيى : جابهنا عمالقة بالأمس وانتصرنا .. وشعوب أخري جابهت وانتصرت .. وشعبنا حين يقرر المقاومة فعن وعي لأمسه وحاضره .. لكل ما حوله .. وسلاحه الإيمان والعلم والعمل الدائب .. وبه سينتصر كما انتصر الشعوب على أعداء الشعوب .. أعداء الإنسانية .

حســـن : عبثاً تحاول أن تقنعني .. لا يمكن للمتخلفين أن يصاولوا هذا العملاق .. عملاق يمثل أضخم حضارة عرفها التاريخ أتعرف ما معنى الحضارة ؟ أتعرف معنى أن يكون الإنسان متحضراً ؟ شعبك يحلم .

يـحـيى : بل هو ينطلق من منطق سليم .. منطق سليم .. منطق الشعوب بسيط ياأبت .. أن تقاوم من يعتدي عليها .. وتستمر في المقاومة حتى تنتصر ، الشعوب لا تنتظر أن تلحق بالعملاق أولا ثم تصارعه .. لأنها تعلم جيداً أنه لن يمكنها من اللحاق به مادامت في قبضته .. فهمه أن يضعفها ويخرب كل محاولة للبناء فيها .. لذلك لا سبيل إلا الثورة عليه ..

زيـنب : صدقت يايحيى .. همهم تخريب كل حياتنا بكل الوسائل .. (تصمت *لحظة*) الكلاب المجرمون لم يردعهم شئ عن افلات البغايا والمومسات في شوارع مدينتنا المقدسة ليخربوا شبابنا .. حتى هذه الوسيلة لجأوا إليها .

يـحـيى : وكنا لهم بالمرصاد .. فنسفنا أوكار الرذيلة التي افتتحوها في قدسنا .. إننا نثور لندافع عن الطهر .. لنعيد بناء حضارتنا الإنسانية ونحمل مثلها إلى العالم .. لننقذ العالم من شرور حضارة العملاق الآثمة .. نعم .. إننا نتطلع لتخليص البشرية من الاستعمار والصهيونية .. كما خلصناه من خراب التتار وفساد الصليبيين .

حســـن : أحلام .. أحلام الشباب .. كلام لا يقف على أرض الواقع .. (*يجابه يحيى*) تتحدث وكأنكم ستفتحون العالم .. أنتم

الشعب .. وتنسي الواقع الذي تعيشونه .. خذ واقعكم أنتم يا شباب المقاومة (بتهكم) يا رجال المستقبل (*باتهام*) لماذا هذا الصراع بينكم ؟ لماذا التشتت والفرقة ؟ لم يعد الناس قادرين على التفريق بين أسمائكم .

يحيى : لا ننكر وجود علل فينا ورثناها من عهد التخلف .. نعم هناك عيوب في واقعنا وهذا لا يقعدنا بل يحفزنا على تجاوز هذا الواقع إلى مستقبل لا علل فيه ولا عيوب .

حسن : (بتهكم) مستقبل لا علل فيه ولا عيوب .. أنت متفائل .. أنت تحلم .. مستقبلكم واضح من خلال الواقع الذي تعيشونه .. سيشتد الصراع بين شيعكم .. ويصل الأمر إلى دموية الصراع (بغضب) أتعرف معنى دموية الصراع ؟ أن تصوبوا بنادقكم إلى صدوركم .. إنه الانتحار .. سيتكرر ما حدث من قبل .. دماء تسيل وأرواح تزهق .. وخيبة أمل جديدة للناس .

يحيى : لن يتكرر ما حدث من قبل .. فنحن نعي عبر تجاربنا السابقة .. وشعبنا سيفرض توحيد الجهود .. لن يسمح الشعب بتكرار ما حدث .. وسينبذ من يخرج عن الجماعة.

حسن : (بتهكم *ومرارة*) توحيد الجهود .. الحلم إياه .. الحلم الذي لا يتحقق (*يهز رأسه أسفاً*) كم حلمنا .. ونادينا الويل لمن يخرج عن الجماعة .. ورددنا مع الشاعر (يردد) " الله ثم الله ما أحلي التضامن والوفاقا ..بوركت مؤتمر تألف لا نزاع ولا شقاقا .. لا تعبأوا بمشاغبين ترون أوجههم صفاقاً " . ولم نلبث أن فجعنا بالنتيجة وضاعت

فرحة الشاعر . مهزلة تكررت مراراً وستتكرر مرة أخري لأن العلل التي نعيها جيداً لادواء لها .

زيـــــنب : (بغضب) لا .. بل سيفرض الشعب توحيد الجهود .. ولن يسمح بتكرار ما حدث (*تتجه إلى الفتي*) أنا واثقة يايحيى .. فهذه علل عارضة سنقضي عليها .. أنا واثقة المهم أن نصمد .

حـــــسن : (*يخاطب الأم*) أنت دائماً وراءه .. دعيه ولا تحرضيه (*يتجه إلى الفتي*) لا تسمع لها .. استيقظ يا يحيى ، أفق دع عنك هذه الأحلام . انتبه لنفسك ولمستقبلك .

يـحـيى : (بهدوء) أنا أكثر ما أكون صحواً .

حـــــسن : أستفد من تجربتي . وفر على نفسك مرارة تكرار التجربة. لقد كنت مثلك حين كنت في عمرك . (*بصوت يشوبه الحزن والصدق*).(*يتقدم إلى مقدمة المسرح*) عشت في عالم الأحلام فترة طويلة . كنت من جيل كله يحلم وكانت أحلامنا كبيرة .(*يصمت لحظة*) الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، توحيد أمة العرب « بلاد العرب أوطاني من الشام لبغداد – ومن مصر إلى يمن – إلى عدن فتطوان » اللحاق بمدنية الغرب جاهدنا في سبيل هذه الأهداف ، وكنا أشداء في جهادنا . صبرنا على السجن والنفي ، عشرات المرات أدخلت السجن حتي تعودت أن أبقي مستلزماته في حقيبة خاصة جاهزة دوماً للحمل (*يتجه إلى الأم*) لعلك تذكرين تلك الحقيبة .... لقد لفتت نظرك في أيامنا الأولى .

زيـــــنب : (بحسرة) نعم أذكرها .. كم كانت غالية .

حـــــسن : سنوات وأنا أسير في هذا الطريق .. تلقيت خلالها أعنف الضربات وتحملت .. لم أكن أبالي بعسف السلطة وأنا أحلم بيوم النصر.. وكم منيت النفس بأن حلاوتة ستمسح مرارة تلك الأيام .. (*يصمت لحظة*) كنت واثقاً أنه قريب في أول الأمر .. ثم لم تلبث أن تكشفت أمامي حقائق الواقع فزعزعت هذه الثقة .. وبدأ الشك يعتمل في نفسي .. (*يصمت لحظة*) كان أشد ما يؤلمني ذلك الصراع الناشب بين المجاهدين أنفسهم .. كان يخرب كل بناء بنيته (*يلتقط أنفاسه*) وجاء يوم تفجر الشك في نفسي فجابهتني الحقيقة المرة .. حقيقة أنني أحلم وأن أحلامي لن تتحقق (*يلتفت إلى الجد*) لعلك تذكر تلك الفترة (*يتجه إلى الأم*) وأنت أيضاً .. أما أنا فلن أنسى ذلك اليوم .

زيـــــنب : (*تجابهه*) خرجت من السجن إنساناً آخر .

علــــيّ : كانت البلاد في ثورة وجاء خروجك مفاجئاً لنا .

زيـــــنب : لمست التغير الذي طرأ عليك منذ اللحظة الأولى ، ولكني لم أسبر غوره إلا بعد حين .

علــــيّ : آثرت الصمت فلم تتكلم عما جرى معك .

حـــــسن : ماذا كنتم تتوقعون أن تسمعوا ؟ العذاب المر الذي عانيته في عزلتي .. في السجن الإنفرادي الذي وضعت فيه .. ألوان التعذيب النفسي التي مارسوها عليّ وامتهنوا بها بشريتي .. ومع ذلك صمدت .

زيـــــنب : لم تكن المرة الأولى التي سجنت فيها كما تشهد تلك

الحقيبة .

حسن : نعم .. لم تكن الأولي ولكنها كانت الأخيرة .. فقد اقتنعت في ذلك اليوم بخسارة التضحية التي أبذلها .. بعدم جدوي السير في ذلك الطريق المجدب .

زينب : لماذا ؟ ما الذي غيرك ؟

حسن : تبين لي عبث هذا الذي كنت أسميه جهاداً .. (يصمت *لحظة*) صمدت أمام السلطات رغم ذلك العذاب المر صموداً حاروا في تفسيره ... ثم اكتشفت (*بمرارة*) اكتشفت أنهم عرفوا من آخرين كل الأسرار التي تحملت عذاب الهول لأصونها .. وعرفت أن جميع تضحياتي تضيع هباء ..(*يتجه للأم والجد*) وكنت أعلم ما تعانون فيزداد عذابي ويشتد .. لم يكن لديكم لقمة في البيت .. حجزت السلطات أموالنا .. لم يطرق بابكم أحد .. اللهم إلا من جاء ينصحكم باللجوء إلى فلان وعلان ليتوسط لدي الحاكم للإفراج عني .. (*يزفر*) ألم يحدث هذا ؟؟

زينب : نعم حدث .. ولم نذهب .

حسن : ولكنكم كنتم ستذهبون لو بقيت في السجن .. إلى أراذل القوم ليتوسطوا لكم .. هذا ما فكرت فيه فرجعت إلى نفسي وساءلتها .. أما كان يمكن توفير هذا العذاب عليكم وعلى لو كنت أكثر حكمة .. لو لم أحمل السلم بالعرض ؟ فما دمت لا أستطيع مجابهة الثور وجهاً لوجه ، فلماذا لا أداوره ؟ وبإمكاني لو غيرت الأسلوب أن أضع فلاناً وعلاناً في أماكنهم الطبيعية وأحتل مكاني الطبيعي ..

فأكون معكم وأصلح ما أمكن .. (يصمت *لحظة*) وخرجت لأبدأ من جديد وأنا أكثر فهماً لحقائق الحياة .. (يتجه للفتى) أعتبر يا يحيى من تجربة أبيك .. لا تكررها .. لا تحمل السلم بالعرض .. فلا جدوي (يضع كفيه *على* وجهه) لاجدوى .. لا جدوى .

زيـــــنب : (تبكي) تلك هي مأساتك ..دب اليأس في قلبك .. وسكت عنه .. كابرت وأخفيته عني .. لو أفضيت لي بما في نفسك لتعاونا معاً على مجابهة الأخطار ولتحملنا الشدائد . ولكنك لم تثق بقدراتي (تصمت *لحظة*٨٢) كنت دائماً ترى الأمور بعينيك وحدك .. لم تحاول أن تعرف كيف يراها الآخرون (*بإشفاق*) لم يكن وضعنا بهذا السوء وأنت في السجن ... صحيح أننا عانينا من القلة ولكنا لم نمت جوعاً .. لم نسيء فهم الناس حين أمتنعوا عن طرق بابنا .. بل قدرنا ظروفهم . كانوا هم أيضاً يعانون ويطحنون .. (*بعطف*) وكانوا يرفعونك إلى مرتبة الأولياء .. (تصمت *لحظة*) كنا راضين لأننا نشارك في الصمود .. ولكنك يئست فقعدت .. تحولت تدريجياً حتي أصبحت رجلاً آخر .. لم تعد رجلي الذي هو تاج رأسي وعرق عيني .. وحسبت أنك تصنع الخير لنا .

علـــــيّ : (مرتلا) قل إن كان آباؤكم وأولادكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره . والله لا يهدي القوم

الفاسقين .

يحيى : الشعوب لا تعرف اليأس .. قلوب الناس مع الحق حتي لو صمتت ألسنتهم .. وهناك يوم تتفجر فيه طاقات الناس لنصرة الحق .. صمتهم لا يعني الاستسلام أو الموت وإنما هو مرحلة تسبق الانفجار في يوم مشهود .(*يصمت لحظة*) علينا أن نهيئ لهذا اليوم وكلنا ثقة بشعبنا .. (*يتجه إلى الأب*) من أجل ذلك أردت أن أراك ياأبتاه لأطلب منك التعاون معنا .

حسن : أنا ؟ أتعاون معكم ؟

يحيى : (*بهدوء*) نعم .. النضال بحاجة إلينا جميعاً ، وإن لك مكانك فيه .

حسن : (*بشئ من التهكم*) لعلك تريدني أن أحمل البندقية ..على أن أجدد تدريبي أولاً .

يحيى : بل نريدك أن تنسحب من الاجتماعات التي يقوم بها الحاكم العسكري الإسرائيلي والقنصل الأميركي .. لتساهم في إفشال مخططات العدو الرامية لإقامة الدويلة الخ .. وتلك هي البداية .. بداية يتبعها خير كثير .

حسن : (*بدهشة واستنكار*) ماذا ؟ أنسحب من الاجتماعات ؟ لأسير في الطريق المسدود ؟ (*يرفع صوته*) قلت لك ليس أمامنا إلا الاعتراف بالواقع القائم ، والتحايل على العملاق . ومستقبلاً يمكن أن نعيد النظر .

يحيى : (*بانفعال*) أي مستقبل هذا الذي سيكون بعد الاعتراف والاستسلام ؟ ألا تعرف ماذا يعني ذلك ؟ عدونا لا يخفي

حقيقة أطماعه .. أنه يريد ما يسميه إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .

زينب : لن يبقى لنا أي معني من معاني الكرامة في ظل تحكم هذا العدو .. ألا تري ما يفعله بنا اليوم ؟ أنسيت ما فعله بإخواننا في دير سانت كاترين وكفر قاسم ؟

يحيى : عدو حاقد تسيطر عليه حركة عنصرية فاشية استعمارية ورثت أمراض الإنسانية لآلاف السنين وجاءت تتحكم فينا (*يخاطب الأب*) حتي أنت لن تبقى هنا ، فمخططهم أن يهودوا فلسطيننا وأنت مكانك الصحراء حيث ستحكم حكماً عنصرياً أسوأ من ذلك الذي تسمع عنه في جنوب أفريقيا .. إننا حين نرفض الاعتراف والاستسلام فلأننا لا نقبل ان نوقع على صك عبوديتنا .. ونحن حين نثور فسنحمي أمثالك أيضاً

حسن : (*متراجعاً*).. نعم .. لا أحد ينكر خبث نياتهم .. فلتتعدد أساليبنا .. فليكن لي أسلوبي .

يحيى : بل لابد من الرفض الكامل أولاً .. لا اعتراف ولا تعاون .. هذه هي البداية وبعدها نبحث في تعدد الأساليب .

حسن : (*يجلس على الكنبة الكبيرة وينقل نظره بينهم*) سأفكر فيما تقول.

يحيى : فكر يا أبتاه وأحزم أمرك .. (*بلهجة خاصة*) ونحن على مقربة .. (*يلتفت للأم*) أماه . ينبغي أن أغادر الآن .. زوديني بدعواتك.. واعتني بنفسك .

زينب : (*تفيض عيناها بالمحبة*) سيكون الله معك ومعنا يابني .

حـــسن : تذكر .. فهم يطلبون رأسك .

يــحــيى : لا تخف ..لن يتوقف التيار عن التدفق .. وستستمر الثورة وشـهـداؤنا أحيـاء عند ربهم يرزقـون وفي ضـمـير أمـتـهم باقون .. (*يصمت لحظة ويتجه للأم*) أماه قد أطيل الغياب هذه المرة .. أرجو ألا يشق غيابي عليك .. أبناؤك كثيرون وهم بحـاجة إليك .. جمـيع المناضلين أبناؤك (*يتلفت إلى الجد ويقبل يده*) سـلام الله عليك ياجـدي .. سـلام الله عليكم .

(*يلبس معطفه ويضع كوفيته على رأسه ويخرج من الباب الداخلي بينما تتقدمه الأم*) .

علــــيّ : وعليك السلام يا يحيى .

(يسدل الستار)

الفصل الثالث

"الفجــــــر"

"المكان نفسه .. خيوط الفجر البيضاء تتسلل إلى الصالة من النافذة .. ويبدو المنظر عبر النافذة ، انقشاع الغيوم ووضوح الرؤية . ورذاذ مطر خفيف يتساقط .. نار المدفأة خامدة .. والوقت هو الفجر .. وتقوي الإضاءة في الصالة مع مضي الوقت.

يرفع الستار عن الجد في الركعة الثانية من صلاة الفجر .. وهو يصلي في ركعته المعهودة "

علـــيّ : (*مرتلا*) ولا الضالين آمين .. والفجر وليال عشر والشفع والوتر، والليل إذا يسر ، هل في ذلك قسم لذي حجر ، ألم تر كيف فعل ربك بعاد أرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد .. (*يتابع صلاته ، ويبرز في هذه الأثناء وجه شاب وراء النافذة يتطلع إلى الداخل ثم يختفي .وتظهر زينب وهي تهبط السلم وقد بدا عليها أثر السهر*) .

زيـــنب : (*تتجه بنظرها إلى النافذة*) الفجر .. اللهم أجعله خيراً . (*تلتفت إلى الجد وهو يختتم صلاته*) أسعد الله صباحك يا أبت.

علـــيّ : أسعد الله صباحك ياأم يحيى .

زيـــنب : (*تتلفت حواليها*) هل سمعت وقع أقدام في الخارج قبل قليل؟

علـــــيّ : كنت أصلي يابنيتي .

زيـــــنب : خيل إلي أني سمعت وقع أقدام تسير في الحديقة .. كنت في غرفتي بين النوم واليقظة .

علـــــيّ : لعلك كنت تحلمين ياأم يحيى .

زيـــــنب : لا يا أبت لم أستطع الاستغراق في النوم رغم حاجتي الماسة إلى الراحة . كنت أفكر في يحيى .

علـــــيّ : رافقته السلامة .

زيـــــنب : تري أين هو الآن ؟ هل بلغ مأمنه ؟ (*تتجه إلى النافذة وتتطلع منها*) يبدو أن الطقس في تحسن ، ها هو الصبح يتنفس وتدب فيه الحياة .

علـــــيّ : لعله يأتينا ببعض الدفء .. ما أحوجنا إلى دفء يسري في العروق .

(*يسمع صوت نقر خفيف على الباب الرئيسي*)

زيـــــنب : هناك من يطرق الباب .. أسمعت يا أبت ؟

علـــــيّ : نعم (*بصوت أعلى*) تفضل .. أدخل . (*يتابع النقر*)

زيـــــنب : (*تتجه إلى الباب*) تفضل أدخل ..

(*تفتح الباب فيدخل أبو أسامة .. شاب في الثلاثين من عمره .. أسمر الوجه .. قوي الملامح .. يبدو عليه الإرهاق ... ثوبه الكاكي مبتل .. وحذاؤه مغطى بالطين*).

أبو أسامة : السلام عليكم .

زيـــــنب : وعليك السلام .. تفضل .. أهلاً وسهلاً .كان الباب مفتوحاً .

(*يدخل الشاب وينظر حوله للحظة*)

علـــــيّ : أهلاً يابني .. تفـضل وأجلس .. (*يخاطب الأم*) *أشعلي النار ياأم يحيى (تقوم الأم بإشعال نار المدفأة)*

أبو أسـامـة : أرجو المعذرة لإزعاجي لكم في هذه الساعة .. ولكني كنت مضطراً .

زيـــــنب : (تبتسم بود) ليس هناك من إزعاج .. فنحن مستيقظين في هذه الساعة كما تري . أتقول ساعة متأخرة أم ساعة مبكرة؟ تفضل أجلس .

(*يجلس الشاب*) .

علـــــيّ : هي ساعة الفجر يا زينب .. وهي ساعة مباركة أليس كذلك يابني ؟

أبو أسامة : (*يبتسم*) نعم يا عم .. اسمي أبو أسامة .. وأنا ..

زيـــــنب : (*تقاطعه*) نعرفك .

علـــــيّ : أنت واحد من أبنائنا .. عاشت الأسماء يابني .

أبو أسـامـة : أشكرك ياعم .. نعم أنا واحد منهم ..لن أخفي حقيقتي عنكم .. لقـد اضطررت أن ألجـا إليكم مع أني أعلم مـا أعرضكم له من خطر كبير .

زيـــــنب : لا عليك ..الله هو الحافظ .. وهذا بيتك .

علـــــيّ : الله هو الحافظ يا أبا أسامة .

أبو أسـامـة : تعليماتنا ألا نلجأ للبيوت إلا في حالة الضرورة القصوي .. فنحن لا نريد أن نكون سبباً في إيذاء أهلينا ولقد دأب العدو على التذرع بنشـاطنا ليبطش بشعبنا . يريد أن يفصل بيننا وبين قومنا وأن يجبرنا على القعود .

زيـــــنب : لن يبلغ عدونا ما يريد يا أخي .. فنحن نزداد تمسكاً بكم

.. واضح لنا أنه يمارس هذا الإرهاب ليـدفـعنا إلى كراهيتكم ويفصلنا عنكم .. يصفكم بالمخربين ويصفنا بالمدنيين المسالمين ، ويصوركم لنا أنكم سبب ما ينزل بن من بلاء .. لعلنا نغلق أبوابنا في وجوهكم .. (*تقف أمامه*) أبوابنا ستبقى مفتوحة لكم .. أنتم أخواتنا وأبناؤنا ، ونحن وأنتم شئ واحد نعاني معاً ونناضل معاً .

علـــيّ : سيفشل مكر العدو يابني .. فأنتم قلبنا النابض وذراعنا الضارب .. وحين هببتم كانت هبتكم تعبيراً عن أشرف مافي ضمير الأمة .. (*يصمت لحظة*) وسيفشل إرهاب العدو ويأتي بنتائج عكسية .. وعلينا أن نتحمل معاً ما نعانيه من آلام .

أبو أسامة : أشد ما في هذه الآلام على نفوسنا .. تلك التي يعانيها قومنا .. ما أقسى ما نشعر به ونحن نتابع عسف العدو .. في الأسبوع الماضي نسف خمسين بيتاً في منطقة الخليل .. كل بيت اشتبه فيه أنه فتح بابه لنا .

زيـــنب : نعم .. لمجرد الشبهة .. بل إنه أرسل جواسيس من اليهود الشرقيين ليطرقوا أبوابنا باسم المقاومة في الليل ، ومن يفتح يسجل اسمه في قائمة الانتقام .. ومع ذلك لن يمنعنا شئ عن الالتحام بنضالكم وسنتحمل يا أخي .

أبو أسامة : كنا على يقين حين انطلقنا اننا نعبر عن إرادة شعبنا وحديثك يؤكد لنا ذلك يا أختـاه .. تأييد الناس لنا والتحامهم بنا يؤكده .. الأبواب الكثيرة المفتوحة تؤكده وهذا يضاعف من شعورنا بالمسئولية .. ومن حرصنا على

قومنا .. لذلك نحن لا نلجأ إلى بيوت أهلنا إلا اضطراراً .. (*يقوم من مجلسه*) لقد اضطررت أن ألجأ إليكم لأننا في حاجة ماسة للعون .

زينب : أطلب يا أخي .

عليّ : أطلب .. وأجلس أولاً فأنت بحاجة إلى راحة .. آثار الإنهاك بادية عليك يا أبا أسامة .

أبو أسامة : (*ينظر عبر النافذة بقلق*) لا أستطيع البقاء طويلاً .

زينب : (*تتنبه لنظرته وقلقه*) لعلك لست وحدك ؟

أبو أسامة : نعم.. معي مجموعة أخوة .

عليّ : أين هم ؟ لماذا لا تدعوهم ؟

أبو أسامة : إنهم على مقربة .. في حديقة البيت .. كنا مختبئين في مكان قريب بعد عملية الأمس .. وآثرنا الانسحاب حين أحاط العدو بالمكان

زينب : ولكن عيونه منتشرة في المنطقة .

أبو أسامة : سنحاول الانسحاب إلى مكان آمن .. ولكننا بحاجة إلى العثور على طبيب أولاً .

زينب : طبيب ؟

عليّ : لعل الحالة ليست خطيرة .

أبو أسامة : لا .. شظية أصابت ساق أحد الأخوة .. قمنا بالإسعافات الأولية . وأوقفنا النزيف .. ووجدنا أنه لامفر من الاستعانة بطبيب يستخرج الشظية ويعمل اللازم .. وقد تركنا الجريح في رعاية احدي الأخوات .

زينب : هل يمكننا الانتظار ساعة أخرى لنرسل في طلب طبيب

فالأفضل ألا نستعمل الهاتف .. وألا نبعث بطلبه الآن في ساعات منع التجول خشية أن نلفت الأنظار .. بعد قليل ستشرق الشمس ويسمح بالتجول فنرسل في طلبه .وهو محل ثقة . والمكان هنا آمن نسبياً ..(*تلتفت إلى الجد*) ما رأيك يا أبتاه ؟

علـــــيّ : رأيك صواب ياأم يحيى .. (*يلتفت الشاب*) الأفضل أن تنتظروا هنا .. أدع اخوانك للدخول .. أدعهم إلى بيتكم ..ستكونون هنا في مأمن أكثر من أي مكان آخر .

زيـــــنب : لعلكم أيضاً بحاجة إلى طعام .. أسرع بدعوتهم ياأخي .. أليس هذا ماتراه ؟

أبو أسامة : رأيك صواب ياأختاه (*ينظر إليها بامتنان*) سأفعل .

(*يخرج من الباب الرئيسي .. ويسمع صفير كأنه لبعض الطيور*).

علـــــيّ : (*ينظر إلى صورة الأب ويخاطب الأم*) أين هو ؟

زيـــــنب : (*تفهم نظرته*) إنه غارق في نومه .. ولا أظنه يصحو بسرعة..

(*تمر لحظة ثم يدخل الشاب ومعه ستة شبان آخرين*)

زيـــــنب : أهلاً (*بترحيب صادق*) أهلاً وسهلاً . تفضلوا .

علـــــيّ : تفضلوا يا أبنائي .. تعالوا واجلسوا بجوار المدفأة .. هيا ياأبا أسامة (*يتجه للأم*) مزيداً من الحطب في المدفأة يا أم يحيى .

(*يتقدم الشبان ويجلسون على الكنبة والوسائد قرب المدفأة. تبدو عليهم جميعاً آثار الإرهاق مع أن في وجوههم*

راحة تختلط بالقوة والعزم .. تضع الأم حطبها في المدفأة).

أبو أسامة : شكراً يا عم .. (يتجه للأم) شكراً يا أختاه . هؤلاء هم اخوتي ورفاقي (يشير إليهم) .

زينب : أهلاً بكم جميعاً .. أنتم في بيتكم .

الشبان : (معاً) أهلا بكم .. وشكراً لكم .

زينب : لابد أنكم بحاجة إلى طعام .. سأقوم لتهيئة الفطور .

أبو أسامة : شكراً يا أم يحيى . لا لسنا بحاجة الآن .. تناولنا طعامنا في المخبأ قبل أن نغادره .. ولكننا سنرحب ببعض الطعام الجاف لنتزود به حين نخرج .. وربما احتجنا أيضاً إلى بعض الثياب لنتنكر بها .

زينب : سأهيئ كل ما يلزم .. ومع طلوع الشمس تأتي الحاجة أم الخير فنرسلها في طلب الطبيب .. إنها تعاونني في أمور البيت وإبنها فدائي .

أبو أسامة : هذا حسن .

عليّ : فلتأخذوا الآن قسطاً من الراحة .. أمامكم عمل كبير .. فلا بأس أن تستعينوا عليه باستراحة قصيرة

أبو أسامة : الحق أننا بحاجة للراحة والدفء (يشير للمدفأة) .

زينب : كان الطقس سيئاً مساء أمس .. لابد أنكم عانيتم منه .

أبو أسامة : نعم ولكنه عوضنا خيراً .. كان في صفنا .. عاوننا على إتمام مهمتنا بنجاح فاق كل ما توقعناه .

عليّ : (يتلو) " وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به

الأقدام".

أبو أسامة : صدق الله العظيم .. هذا ما نردده كلما اكفهر الجو ما أروع السكينة التي ينزلها كلام الحق في نفوسنا .

أخت الرجال : (*في حوالى الخامسة والثلاثين .. سمراء طويلة عيناها سوداوان توحيان بالقوة .. تلبس فستاناً بسيطاً فوق بنطلون من اللون نفسه*).
لذلك تعودنا أن ندعو ونصلي قبل الشروع في تنفيذ عملياتنا ولكل منا دعاءه المفضل .. أليس كذلك يا أبا عيسي ؟ (*تلتفت إلى أحد الشبان*) .

أبو عيسى : نعم .. وكل الأدعية تصل للرب .. (*هو في حوالى السابعة والعشرين متوسط القامة .. في نطقة لثغة محببة*) .

أبو أسامة : (*للأم والجد*) أخونا عيسي مهندس كهربائي . وقد هم أن يصبح قسيساً بعد حزيران .. ثم لم يلبث أن التقي بنا والتقينا به فكسبنا فدائياً مهندساً ومتديناً .

أبو عيسى : ليس غريباً أن نكون متدينين ياأخي .. فالإيمان يسري في عروقنا أباً عن جد . جذورنا ممتدة في هذه الأرض المقدسة مهد الديانات السماوية .

زينب : (*تنظر إليه باهتمام ويبدو عليها وكأنها تعرفه*) كأني رأيتك من قبل ياأخي هل لي أن أسألك من أين أنت ؟

أبو عيسى : أنا من عكا .. من الساحل .

عليّ : عكا .. قاهرة بونابرت .. كم اشتقنا لها .. أتذكرها يابني؟

أبو عيسى : (*تغطي وجهه مسحة حزن*) أذكرها جيداً ياعم .

(*ينظر الشبان في وجوه بعضهم البعض*) ولا أحسب أن صورتها ستنمحي من ذاكرتي

علـــــــيّ : (*يلاحظ النظرات*) لعلى لم أسئ لك في سؤالي يا بني ؟

أبو عيسى : أبداً يا عم .. (*ينظر إلى إخوانه*) يحاول أخوتي أن يتجنبوا تذكيري بعكا .. والذي لم ينس ليس بحاجة لتذكير ..

وأنا لم أنس عكا ويوما فيها قبل عشرين سنة .

زيـــــنب : (*باستفهام*) يوم قبل عشرين سنة ؟

أبو أسامة : نعم .. ذكرى مريرة .

أبو عيسى : (*بمرارة*) كنا عائدين من الكنيسة في يوم أحد.. والدي وشقيقتي وأنا .. سارعنا إلى البيت بعد الصلاة لنحتمي من الضرب ..لم نكن نعرف ما ينتظرنا فيه . ولم يلبث أن اقتحم الباب أربعة منهم شاهرين أسلحتهم.. كانوا يسمونهم الهاجانا .. أخذوا يفتشون البيت ويسلبون ما يعثرون عليه من نقود ومجوهرات بسيطة (*يصمت لحظة*) ثم التفتوا إلى شقيقتي .. كانت في السادسة عشر متفتحة كربيع بلادنا .. فأشاروا إليها أن ترافقهم.. صرخت ولاذت بأمها وتقدمهما أبي .. ولم تمض لحظة حتي انطلقت عدة رصاصات فوقع الرجل ودماؤه تنزف .. وارتفعت صرخاتنا .. رأيتهم يتقدمون لأخذ الفتاة فحالت أمي دونهم ونشبت أظفارها في وجوههم ،وهجمت عليهم فنزلوا علينا ضرباً بكعاب البنادق .ورأيت شقيقتي تندفع هاربة من الباب ثم غبت عن الوعي .

علـــــيّ : لا حول ولا قوة إلا بالله .

زيـــــنب : المجرمون .

أبو عيسى : استيقظت لأجد والدي قد فارق الحياة .. ولا أجد أمي قد هربت من الواقع (*تظهر دموع في عينيه*) نعم.. فقدت عقلها وأدخلها خالي إحدي المصحات العقلية في الشام.. وهي تسأل كل يوم عن زوجها وتنتظر العودة إلى بيتها في عكا .

زيـــــنب : (تمسح دموعه) تنتظر مع آلاف المنتظرين .

أبو عيسى : (*يقوم من مجلسه ويتقدم إلى مقدمة المسرح*) لقد شب الصبي ابن السنوات السبع والذكري تلازمه .. وحلم العودة يسيطر عليه .. شب وهو يتحرق على يوم يحمل فيه السلاح ويدخل أرضه المغتصبة ليفي بعهد قطعه على نفسه يوم أن غادر .. لقد أقسم يومها أن يعود ليطهر بيته من الرجس ويهزم أعداء الإنسان ويزور قبر أبيه .. صار اليوم شاباً .. وها هو يعود ليخطو الخطوة الأولي في طريق طويل لابد أن ينهيه وسيزور عكا قريباً .

أبو أسامة : (*يربت على كتفه*) خطونا الخطوات الأولي في الطريق وسنغذ السير .. كل خطوة سنصلي العدو ناراً كالنار التي تفجرت بالأمس .. (*مخاطباً الأم والجد*) لقد كان أبو عيسي هو الذي صمم عملية الأمس .. وهو الذي وضع الشحنة في مخزن الذخيرة .

أخت الرجال: (*تحاول تغيير جو الحزن بروحها المرحة*) بالطبع فهو مهندس كهربائي .. وهوايته ياأم يحيى أن يتلاعب

بالكهرباء .. وبأعصابنا .

أبو أسامة : (يبتسم) ويتابع أساليب العدو في حماية نفسه من المقاومة فيفشل هذه الأساليب .

أخت الرجال : (*تشير إلى رأسها*) أنه يتقن التفكير يأم يحيى بأسهل الطرق يفشل أساليب العدو (*تخاطب الشبان*) لم أتصور أن يتم الأمر بهذه السهولة ، بالأمس كنت خائفة من الأسلاك المكهربة التي تحيط بالمعسكر .. وأنا أخاف الكهرباء من الصغر وزاد في خوفي دعاية العدو عن الأسلاك المكهربة التي أحاط بها معسكراته ومستعمراته لصد هجماتنا .. وأعترف أن هذا الخوف هو الذي جعلني أرجو بإلحاح أن أكون ضمن أول مجموعة تتصدي للأسلاك الكهربائية وتتحداها .. فإصرارنا على المقاومة والثورة أكبر من أي خوف ..(*تصمت لحظة وتشير إلى رأسها*) وعقولنا قادرة على التفكير هي الأخري . وهكذا بلوح من الخشب وبطانيات صوفيه أفسد أبو عيسي تدبير العدو وتخطينا الأسلاك .

أبو أسامة : (*مخاطباً الجد والأم ومبتسماً*) لقد أصرت على أن تكون الثانية في العبور ، وما أسرع ما عبرت .. هذا شأنها دوماً يأم يحيى (بمحبة) نسميها أخت الرجال .. وهي عندنا بمائة .

أخت الرجال : كف يا أبا أسامة ولا تخجلني .

أبو أسامة : (*متابعاً*) هي لا تظهر الخوف حتي يخيل إلينا أحياناً أنها لا تعرفه .

أخت الرجال : (*تبتسم*) الشجاعة ليست حكراً على الرجال .. ثم لا تنسوا أني برأويه نشأت في البر بين البيارات .

أبو عيسى : (*يخرج من جو الحزن ويقاطعها*) وأنك يافاويه من بنات الساحل وكنت في مقدمة اللواتي عملن بعد النزوح (*يخاطب الأم*) لقد جابت الوطن العربي حواضره وبواديه بمفردها .

أخت الرجال : وهل في ذلك غرابة ؟ (*تخاطب الأم*) أنهم يذكرونني دوماً بانوثتي .. وأنا أتهمهم بأن في نظرتهم للمرأة رواسب عصور الحريم .

أبو أسامة : (*مبتسماً*) نحن لم نقترب من هذا الموضوع فهل ستستطردين ؟

أخت الرجال : (*بمزاح ومناطحة*) أنتم الذين تستطردون .. (*للأم*) يتهموني بالاستطراد باعتباره عادة أنثوية (*تستدرك*) كنا نتحدث عن إفشالنا إحتياطات العدو فاستطردوا للحديث عني .وما علينا .. (*يأخذ حديثها طابع الجدية*) لقد حاول العدو أيضاً أن يتغلغل فينا ليعرف تحركاتنا مقدماً.

علـيّ : ستتعدد محاولات العدو وأساليبه .

زينب : (*تشير إلى رأسها باسمة*) وعلينا أن نفكر ونفشلها .. أليس كذلك ياأخت الرجال؟

أخت الرجال : هذا هو الطريق .. حاول العدو أن يبث عيونه في وسطنا فتصدينا له .. وبرز فينا من تخصص وأبدع في هذا المجال (*تشير إلى أبي درويش*) وهذا واحد من هؤلاء ... أخونا أبو درويش .

أبو أسامة : نعم يا أم يحيى (*مشيراً إلى أبي درويش*) لقد طهَّر أبو درويش قواعدنا من جواسيس العدو ، وتتبع عملاءه هنا في أراضينا المحتلة .. إنه مسؤول الأمن بيننا .

أخت الرجال : (*مقاطعة وتتحدث بمحبة*) كم هو حريص على أرواحنا .. لا يقبل أن يوافق على عملية إلا بعد ان يتأكد من إمكانية نجاحها بأقل نسبة من الخسائر .

أبو عيسى : هذا هو المفهوم العلمي للعمل الفدائي يحرص عليه أخونا أبو درويش .. أنه يقول بحق " بقدر ما يري الفدائي روحه رخيصة في سبيل الله والوطن بقدر ما هي غالية عندنا من أجل إعلاء كلمة الله وتحرير الوطن "

أبو أسامة : لقد وافانا بصورة كاملة عن معسكر العدو قبل فترة كافيه من قيامنا بالعملية فدخلناه على نور .

أخت الرجال : ولك أن تتصوري الذهول الذي أصابني ياأم يحيى حين عبرنا الأسلاك الكهربية فوجدته أمامي في ثياب جندي من الأعداء (*تنظر ناحيته*) ومع ذلك يريدني ألا أعجب وأندهش ويبدي ضيقه بالمنبهرين كما يسمينا .

أبو درويش : (*في حوالي الخامسة والعشرين .. أميل إلى القصر أشقر .. عيناه ملونتان تشعان ذكاء*) ...
سامحكم الله ..ماذا أقول ؟

أبو أسامة : قل ما بنفسك أن أقول عنك .. أنك تضيق بالانبهار والمجاملة .

أبو درويش : (*مبتسما*) أعترف إني ضقت بها كثيراً أول الأمر ولم أتعود عليها بعد .

أخت الرجال : ولن تتعود .

أبو درويش : لماذا الانبهار .. لا أجد له مبرراً .. إن ما نقوم به ليس عملاً خارقاً وأنا لا أقصد التواضع .. أمرطبيعي أن نفكر ونحن نحارب .. والتفكير يوصلنا إلى معرفة الكثير ويمكننا من استخدام جميع أسلحتنا .. وأمر طبيعي أن نجابه العدو بهذه الأسلحة وتنجح فهو أيضاً ليس عدواً معجزاً .

زيـــــنب : هذا حق يابني (*بحماس*) ماأجمل هذا الحديث يا أبت.

أبو درويش : حين نعي هذه الحقيقة نخلص منها إلى معرفة صحيحة للعدو .. ألا ترون يا أخوتي أننا كنا طوال السنين الماضية ما بين مبالغ في التقليل من شأن العدو وبين مبالغ في التعظيم من شأنه ؟

أبو أسامة : نعم .. وضعنا في العموميات فغابت عنا صورته الحقيقية.

أبو عيسى : كنا نراه من بعيد وأصبح وكأنه شئ مجرد .

أبو درويش : (*مؤكداً*) وهو لحم ودم .. فيه جوانب قوة يجب أن نحسن تقديرها ونجابهها وفيه جوانب ضعف يجب أن نعرفها لننفذ منها .

أخت الرجال : لقد أتيح لكم ما لم يتح لنا يا أبا درويش .. عرفتموه عن كثب أنتم الذين بقيتم في البلاد بعد النكبة الأولى .

أبو أسامة : وعانوا ما لم نعانيه .

أبو درويش : كان ذلك قدرنا .. كان قدري أن أنشأ واحداً من هؤلاء الذين عاشوا منفيين في أرضهم وغرباء في بيوتهم طوال العشرين سنة الماضية .. جابهنا العدو وجهاً لوجه بدون

أستار أو خطوط هدنه وعرفناه على حقيقته (بصوت مفعم *بالعزم*) وعلينا الآن أن نستفيد من هذه المعرفة ..(*يخاطب الفتاه*) وهذا ما فعلته يا أختاه لتأدية دوري في عملية المعسكر ، وما سأفعله مستقبلاً .. الصورة الكاملة جاءتني من أحد العاملين فيه .. يهودي شرقي له قصة طويلة .. واتقاني اللغة العبرية مكنني من التخفي بنجاح في زيهم العسكري .. (يبتسم) وربما ساعد على ذلك أيضاً شكلي .

أخت الرجال : يحسبونك يهودياً غربياً .. أمريكياً أو ألمانياً يعني من سادة هذا المجتمع المصطنع .

أبو درويش : نعم .. مجتمع مصطنع عنصري .. اليهودي الغربي فيه يستعلى على الشرقي وكلاهما يتطلع للتحكم فينا والتسلط علينا .

أبو أسامة : صدقت .. يبدو واضحاً ان اليهود الغربيين يصرفون نقمة الشرقيين عليهم بتحويلها علينا فيستخدمونهم أدوات لإضطهادنا .

زينب : هؤلاء الذين عاشوا في وطننا مئات السنين في رحاب التسامح والعدل هم الذين ينفذون سياسة الاضطهاد فينا.

أبو درويش : هذا هو الدور الذي رسمته الصهيونية لهم وهي تخطط لمرحلة التوسع .. وليس صعباً أن نفشله لو أحسنا التصدي لموضوعهم .

أبو عيسى : من الملاحظ أن كثيرين من الجيل القديم من اليهود الشرقيين يحن للأقطار التي هاجر منها في المشرق

والمغرب .

أبو درويش : نعم .. ويحاول العدو أن يربي الجيل الجديد على هواه ليكون جزءا من هذا المجتمع له دوره فيه .. (*يصمت لحظة*) مجتمع مصطنع تفاعلت فيه عقدة الشعب المختار بكل أوهامها الدينية وعقدة التفوق الغربي بكل أسانيدها الباطلة لتنتج أسوأ عنصرية عرفها الإنسان.

أخت الرجال : ويشاء الله أن نبتلي بها .

أبو درويش : وأي ابتلاء يا أختاه .. ماكان أقسي عذاب المنفيين في أرضيهم .. الحكم العسكري .. قانون الطوارئ .. نسف البيوت ..مصادرة الأراضي .. على منع التنقل .. هذه عناوين لهذا العذاب .

زيـــنب : كنتم الشاهد الحي على جريمته .. كان وجودكم يبقي الحقيقة ماثلة أمامه ... يجسد الماضي بكل صدقه ويشير إلى المستقبل .

أبو أسامة : نعم .. ومن هنا كان ضيقه الجنوني بأخوتنا (*يخاطب أبا درويش*) ود لو يمحو أثركم .

زيـــنب : ولكنكم صمدتم .. فأنتم من هذا الشعب الذي كان دوره عبر التاريخ أن يصمد بل أنتم رمز هذا الشعب وخلاصته .. صمدتم في ظل أقسي الظروف وبلا سند .

أبو درويش : عشنا يوماً بيوم ضيقه الجنوني بوجودنا وجابهنا محاولاته للتخلص منا (*يصمت لحظة*) أذكر يوم كفر قاسم واحداً من تلك الأيام وأكثرها إحمراراً .

أخت الرجال : أحسسنا بنذره قبل أن يحل ، وعشناه معكم عن بعد .

أبو عيسى : أعرف جيداً ذلك اليوم .. كان صورة مكبرة لما جري في عكا .

أبو أسامة : صورة مكررة لما جري في دير ياسين وفي قبية ونحالين وسلسلة من الأسماء حتي السموع .

أبو درويش : (يتذكر) كان أخوتنا عائدين من الحقول عند الغروب .. بعد نهار ملئ بالعمل المقدس .. كان عملهم في أراضيهم تعبيراً عن الحب .وكان حبهم لأرضهم من حبهم لله، كله قدسية وطهر .. وكان الشيوخ والأطفال والنساء ينتظرونهم ليلفهم سكون الليل في بيوت القرية ويعيشوا ليلة أخري مع الذكريات والحوادث والإذاعة (يصمت لحظة) على مشارف القرية عند الغروب كان موعدهم مع القدر .. فهناك قبعت الدورية الإسرائيلية وأطلقت الرصاص فجأة وبدون إنذار .. البعض كان راجلاً يسير على قدميه .. والبعض الآخر أنزلوه من السيارة وسقط الجميع .. شهداء الغدر .

زينب : وكانت المذبحة إيذاناً بغدر آخر إسمه العدوان الثلاثي .

أبو درويش : سرعان ما عشناه معكم بعد أن وارينا شهدائنا التراب .. لم ننفصل عنكم أبداً .. كنا نعانق المذياع كل ليلة ونحلم بيوم تمتد فيه الثورة .

أخت الرجال : (*تقاطعه بتأثر*) ولكنا قصرنا معكم تقصيراً فاضحاً .. انقطعنا عنكم ولم نحرص على استمرار الاتصال بيننا .. ولم يكن ذلك صعباً .

أبو عيسى : صدقت أختنا .. كأنما أسقطناكم من حسابنا .. كأننا

إعترفنا واقعياً بالحدود التي أرادها العدو .

أبو درويش : كان لابد من أن يأتي يوم نلتقي فيه .. وقد عملنا في انتظار ذلك اليوم .

أبو أسامة : وجاء اللقاء في يوم نكسة .. (*بمرارة*) زالت الحدود الوهمية التي كانت حائلاً بيننا .. ماكان ينبغي أن تقف .

أبو عيسى : يوم النكسة .. يا لمراراته .

أخت الرجال : يوم النكسة .. ما كان أشقاه .

أبو درويش : (*كأنه يتذكر*) يوم النكسة .. لم نكن نتوقعه على هذه الصورة .. حتي بعض قطاعات العدو لم تتوقعه لنا .. كنت في سجن الرملة ذلك إليوم وجاءني سجّاني .. يهودي شرقي من مصر .. جاءني ملوحاً بمفاتيح الزنزانة التي أمضيت فيها عامين .. وقال هيئ نفسك لاستلام هذه المفاتيح غداً وربما اليوم .. فسألته، فأعلمني بنشوب القتال .. وقال "وأغلب الظن أنكم قادمون " (*يهز رأسه ويصمت لحظة وتحول السجان يحدث نفسه بصوت عال)* " وماذا لو قدمتم إلى هنا ؟ هل سيكون مصيري السجن ؟ أنا في السجن منذ قدمت إلى هنا .وماذا اختلف عنكم ؟ . ترجعوني إلى مصر ؟ سأرحب .. فلقد كنا نعيش في راحة وأمن في مصر أم الدنيا قبل أن يطلعوا علينا بهذه القصة ".

أخت الرجال : لا ينكر الهناء الذي كانوا فيه .والتسامح الذي عاشوا في ظله .

أبو درويش : نعم .وقد لمس حديثه شغاف قلبي .. وتمنيت أن ننتصر

لأسباب كثيرة من بينها أن ننهي أكنوبة الوطن القومي وننقذ السجان وكثيرين مثله .. (*يصمت لحظة*) تمنيت ودعوت وتساءلت أيكون اليوم يوم النصر ؟ يوم الثورة ؟ (*بحسرة*) وجاء الجواب بسرعة .

أبو أسامة : بعد ستة أيام.. فجيعة لا تنسى .. أليس كذلك يا أبا عرب (*يشير إلى أبي عرب وهو في حوالي الثلاثين من عمره .. عربي الملامح .. يبدو عليه النضج*) .

أبو عرب : نعم يا أخي.. فجيعة أسوأ ما فيها كانت مفاجأة لا أكثر .. لماذا لم نتوقعها .. وكان واقعنا ينذر بها .. هذا ما يجب ألا ننساه .. (*يصمت لحظة*) هل كان خافياً علينا أن أولي متطلبات الانتصار وحدة خط النار وإحكام الطوق على العدو ؟

أخت الرجال : كان طوقنا مكسراً .

أبو عرب : هل كان خافياً علينا الخلل الذي تسرب لبعض جوانب حياتنا كانت مظاهره واضحة ومع ذلك رغب أكثرنا في الهرب من الحقيقة وعاش مع التمنيات .

أبو درويش : ونردد كل يوم .. وما نيل المطالب بالتمني .

أبو عرب : بحكم العادة .. فجاءت النكسة المرة توقظنا تضعنا أمام الحقيقة العارية وجهاً لوجه .. تتحدانا بعنف كي نأخذ حقنا غلاباً بتوفير متطلبات النصر .. ألا ترون لها وجهاً مشرقاً هذه النكسة .

زينب : نعم .. جاءت لتوقظ وتنبه وتمحص .

عليّ : فلنتعزى بهذا الوجه (*مرتلا*) ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم

الأعلون إن كنتم مؤمنين .. أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين .. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين .

أبو أسامة : صدق الله العظيم .. ما أكثر ما تعزينا بقصة أحد في الأيام الأولي التي تلت النكسة .

أبو درويش : كانت هذه الآيات نوراً أضاء لنا معالم الطريق .. ما أكثر ما يرددها أبو عرب ويشير إلى عبرها ..

أخت الرجال : (*مقاطعة*) وعبر دروس التاريخ منذ القدم .. هو موسوعة تاريخية ياأم يحيى (*تبتسم*) متفائل دوماً .. حتي في أحلك اللحظات وأشدها ظلمة .. على حد قول المثل " يرش على الموت سكر " .

أبو عـــرب : (*مخاطباً أم يحيى*) وهم ينعون على هذا التفاؤل (*مشيراً لأخوته*) في أكثر من الأحيان .. وينكتون عليه .. (*يبتسمون*).

أبو عيسى : وآخر هذه النكت أن أحدنا سأل الآخر كيف الحال ؟ فأجاب أبو عرب متفائل وأنا متشائم من تفائله .. (*يضحكون ويضحك أبو عرب بانطلاق*) .

أبو عـــرب : (بجد) والحق أنه تفاؤل نابع من الإيمان بالله سبحانه .. ومن حسن الظن به فلا ييأس من روحه إلا القوم الكافرون .. ولدراسة التاريخ فيه أثر كبير .. فهي عودتني ألا أقف

بنظري في مـدي اللحظة الحاضـرة .. بل أمـتـد به إلى الماضي البعيد وعبر المستقبل المديد .. واستحضر العبر والدروس .. بهذا نعي سنن الحياة ونفهم الحاضر .. وهذا يعاوننا على حمل مسئولية التغيير .

علـــــيّ : صدقت يابني .. " فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً " .. "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم " .

زيـــــنب : (يبدو البشر على وجهها .. تخاطب الشباب) يا أهلاً بكم .. يا مرحباً ..زارنا الخير اليوم يأبتاه .. ما أسعدنا بهذا الحديث ... (تتجه إلى أبي عرب وتتفحصه) كأني رأيتك من قبل .. من أين أنت ؟ هل لي أن أسأل ؟

أبو عــــرب : (مبتسماً) نعم .. من العربية ....(يبدو في عيني الأم نظرة استفسار) .

أخت الرجال : ينسب نفسه للدولة العربية الواحدة يأم يحيى .. ولا يتكلم إلا الفصحي .

أبـو درويـش : ولذلك نسميه أبو عرب .

زيـــــنب : لم أفهم بعد تماماً .

أبو أسامة : أخونا لا ينتسب لجزء بعينه .ولد في لبنان من مغربيين هاجرا من المغرب العربي بفعل العسف الاستعماري .. وتنقل مع والديه في سوريا وفلسطين ..ثم أخرج إلى شرق الأردن مع من أخـرجـوا في النكبـة ودرس في العـراق دراسته الجامعية وعمل في الجزيرة العربية ثم انتقل إلى

ضفاف النيل .. وها هو الآن هنا .

أبو عـــرب : وقـد خلفت في كل جـزء أهلاً وخـلاناً .وذكـريات غنيـة تشدني إليه شداً .. فلأي جزء أنتسب ؟ (يصمت لحظة) فكرت ملياً فوجدت أني أنتسب إليها جميعاً .. جميعنا ننتسب لهذا الكل .. ولغة هذا الكل هي الفصحي .

أخت الرجال : وسيأتي يوم يعود فيه هذا الكل موحداً كما كان وتسود فيه الفصحي .

أبـو درويـش : فتزول الحدود الوهمية .. من أجل ذلك نناضل .. من أجل التحرير والوحدة .

أبو عـدنان : (في الثانية والعشرين .. متوسط القامة .. بادي الرجولة والوسامة) .

هدفان مترابطان .. كل منهما يكمل الآخر.. ببلوغهما تقوم دولتنا العربية الواحدة .. وبلوغهما أمانة في أعناقنا.

زيـــنب : صدقت يا بني .. أمانة يجب أن تنهضوا بها من أجل أجدادنا .. ومن أجل أبنائنا .

أبو عـدنان : (بحماس محبب) ستعود الوحدة وفلسطين جزء منها وفيها .. وسنغني من جديد أغاني الوحدة .

أخت الرجال : أغاني الوحدة .. كم ملأت حياتنا .. ما أروع ما فجرته في نفوسنا .. من الموسكي لسوق الحميدية .. وحدة ما يغلبها غلاب .. وطني حبيبي الوطن الأكبر.. آه ما أجملها .

أبو أسـامـة : أسكتتها لفترة طعنة غادرة .. فصلت ما لا يفصل في يوم أغبر .

أبو عـيـسى : وحدثت نكسة كان لابد أن تلد نكسة أكبر .

أبو عـدنان : (بألم واضح) حلت النكسة الأكبر بعد ستة أعوام ..
تتالت أيامها ثقيلة مفعمة بالخطر .ولكن ما وقع كان أكبر
من كل ما توقعناه .

زيـــــنب : كان كارثة .

أبو عـدنان : بعد أن كنا مطبقين على العدو بفكي كماشة الوحدة
صار عدونا جاثما على صدورنا تمتد أصابعه مهددة كل
شبر في أراضينا .

أبو عـــرب : من رأس الناقورة حتي رأس العش .ومن جبل الشيخ
حتي شرم الشيخ .. ومن القنيطرة حتي القنطرة .. شئ لا
يكاد يصدق .. ومع ذلك حدث ... بل كان لابد أن يحدث
امتداداً لشئ اسمه الانفصال .. ونتيجة للعلل التي
أوصلتنا له .

أبو أسـامـة : أصبحنا نشير إلى جبل الشيخ من بعيد .. تملؤنا الحسرة
ونقول " هذا يتبع العدو " وكنا من قبل نشير إلى جبل
الجرمق ونحن نقف في الجولان المحتل .. (يصمت *لحظة*)
وحين وقفت في الصيف الماضي عند عين موسي لأري
أريحا وجبال القدس .. تذكرت بأسي أني وقفت قبل ذلك
عند مدخل قليقلية أمد بصري إلى يافا والبحر (يصمت
لحظة) وخشيت يا أم يحيى ان لم ننطلق أن أجد نفسي
يوما في وسط الصحراء أشير لأبني ناحية الغرب وأنا
أحدثه عن أرضه (*مشيراً لأخوته*) ويشير أخوتي ناحية
الشمال إلى سيناء أو ناحية الجنوب إلى الجولان .

أبو عـدنان : (بتصميم) كان لابد أن ننطلق ونسير في الطريق (يتجه

للأم) كنت أحلم بزيارة الجولان والقدس ، فلها في نفسي صورة غالية رسمتها أحاديث شقيقي الشهيد نشأت وأنا أسمعه يحدثني عن تطوعه عام ١٩٤٨ ومساهمته في الدفاع عن القدس وهو شاب في العشرين ، ثم عن عمله في الجولان بعد أن تخرج ضابطاً .. كم تصورت الجبهه الحصينة المطلة على طبرية من خلال أحاديثه .. وأحببت تلك المرتفعات من خلال حبه لها ، وقد شاء الله أن يسقط هناك .. أصابته قذيفة قبل عامين فتناثر جسده واختلط بترابها .

أبو عـــرب : (*للأم*) زار أبو عدنان القدس في عمليته الأولى وستكون عمليته التالية في الجولان .

أبو عـدنان : سأزور الجولان .. ويتحقق حلمي الذي ألح عليّ في حلب .

أبو أسـامـة : وبعد الجولان سيناء ياأبا عدنان .

أبو عـدنان : (*بتلقائية*) إن شاء الله .. وعمل مستمر حتي نحقق التحرير والوحدة .

زيـــــــنب : (*لأبي عدنان*) أنت إذن من ســوريا يابني .. (*يتألق وجهها بشراً*)

أبو خـــالد : (*أسمر الوجه .. طويل القامة .. في حوالي الثلاثين*) وأنا من مصر .

زينب والجد : أهلاً وسهلاً .. أهلاً ..

أبو أسـامـة : ندعوه أبا خالد .. وهو من الصعيد .. صعيدي قح .

أخت الرجال : (*بمزاج*) وهو ضابط كبير .. نخاطبه سيدي الضابط

(تقف وقفة عسكرية وتحييه) .

أبو خـالد : (*يضحك .. ويخاطب الأم*) أنهـا تشنع على .. لا أحد يسلم منها .

أبو أسامة : أبو خالد كان في الجيش قبل أن يتركه ليتفرغ للمقاومة

أبو خـالد : وقد غلبت على التقاليد العسكرية .. وتأبي أختنا إلا أن تذكرني بها كلما حاولت أن أنساها .

أبو عدنان : (*للأم*) أخونا أبو خالد عمل في الجولان في الجيش الأول أيام الوحدة .

أبو خـالد : كنت حديث التخرج .. ثم أديت واجبي بعد ذلك في اليمن وفي سيناء .. وبعد النكسة رابطت مع المرابطين على طول القناه .. ولكني كنت أحلم أن أتجاوز القناه لأجوب سيناء .. ولأزور القدس (*يشير إلى صورة المسجد الأقصى*) وتركت الجيش لأحقق حلمي وأكون واحداً من طلائعه .

زيـــنب : رابطت هناك مع المرابطين على طول القناة .. حدثني عن أولئك المرابطين كيف هم الآن ؟ قلوبنا معهم .. وأنظارنا تتجه إليهم .

أبو خـالد : انهم يعيشون على أمل واحد .. كلهم إصرار على مسح العار واسترداد الحق المغتصب كله .. يؤمنون أن ما أخذه العدو بالقوة لا يسترد إلا بها .. لذلك يصلون الليل بالنهار .. يعملون لإعداد القوة .. وقد صمموا ألا يتكرر ثالثة ما حدث مرتين (*يصمت لحظة*) خلفتهم هناك يبنون وينشدون وهم يكدون .. يناجون الأرض (*ينشد كورس جماعي*) :

فاكرينك ياسينا ياسينا

ياقصـتـنا الحزيـنة

أولادنا في حضنك أمانة

خليـكي حنــونة

جايينلك في حضنك ياسينا

نوفـي ديـن علينا

سامعين صوت رماك

وهـي بتنـادينـا

راجعينلك يا سينا يا سينا

ياتيـه أعـادينـا

وهنزرع شمس بكره

على صـدرك جنينـه

(*تغرورق عيون الأم والجد بالدموع*)

أخت الرجال : زدنا ياأبا خالد من مناجاتهم ،، إنها تعبر عن أقدس ما في نفوسنا .

أبو أسـامـة : (بعزم) وهي تحـول المرارة إلى قـوة ومـضـاء .. من أجل مستقبل وضاء .

أبو خـالد : (*يتابع النشيد مع الكورس*)

بيـنـا يالـه بيـنا نحـرر أراضينـا

عضم أخواننا نلمه تلمـه نسـنه نسـنه

ونعـمل منـه مدافع وندافع ونجيب النصـر

تحكي الدنيا علينا

بكـرة يـا بلـدنا هنعوض اللـي فـاتنا

وتكبـــــــر المصـــانع   ونخـضــر المـــزارع

يـــــارب أشــهـد عليـــنا   ياعـروبه ياضي عنيـنا

نفـديها بكـل أرواحنـــــا   نصنع بشبابها صباحنا

ونرجــــع مجد ماضينا   ونحـقـق كـل أمـانينـا

(*ينسحب الكورس*) .

زيـــــنب : سنحقق كل أمانينا بإذن الله ياأبا خالد .

أبو خـــالد : باشرنا السير في الطريق وسنتابع .. كثيرون من أخوتي هناك يتـمنون لو كـانوا مـعنا هنا .. مـا أشق الانتظار عليهم.

أبو أسـامـة : سيأتي دورهم في الحسم .. والنصر يستوجب الصبر .

عـلـــــيّ : (يهز رأسه) النصر يستوجب الصبر .. ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله .

زيـــــنب : سنصبر ونترقب .

أبو خـــالد : وسنلتقي جميعاً هنا .

الشـبـــان : (*معاً*) جميعاً .

زيـــــنب : سيلتـقي الجميع هنا .. هنا في أرض اللقاء كما التقيتم أنتم (*تصمت لحظة*) كيف حدث هذا اللقاء بينكم ؟ نعم كيف ؟

الشـبـــان : (*معاً*) كان لابد أن يحدث .

عـلـــــيّ : نعم .. كان لابد أن يحدث .

أبو أسـامـة : كنا نحلم بهـذا اللقـاء ونسـعى له .. عشـرون عـامـاً وأنا أسعي وأبحث .. دخلت دروباً عدة وتجاوزتها واحداً بعد آخر لأبلغه .. وبعد النكسة تأكد لي أنه ليس هناك إلا

طريق واحد ودرب واحد أمامنا فانطلقت فيه وهناك .. التقيت بأخوتي الآخرين .. كانوا في الطريق نفسه بعد أن مروا بتجارب مماثلة ونذرت نفسي للمقاومة والثورة .

أبو عيسى : أنا أيضاً كنت أحلم باللقاء ويوم أحمل السلاح فيه عشرون عاماً عشناها في ظروف تحرم على أبن النكبة أن يحمل السلاح .. وجاءت النكسة فحملنا السلاح ولن نتخلى عنه.

أخت الرجال : قصتنا واحدة يأم يحيى ..كنا نحلم باللقاء ونبحث عن سبيله ..كنا نعيش نفس الأفكار على الرغم من بعد المسافة بيننا ..كنت أعمل في الصحراء حين جاءتني دعوة مسقط رأسي .وما أسرع ما لبيت .

أبو درويش : أذكر أنني كنت في سجن الرملة حين قررت السير في هذا الطريق والبحث عن أخوتي .. كنت واثقاً أنني سأجدهم .. وحين خرجت من السجن وجدت عددا من شبابنا العربي يفكر نفس التفكير ، بل تجاوز بعضهم ذلك إلى البدء بإقامة تجمعات سرية ووجدنا أنه لابد أن نسعي للقاء اخوتنا .وما أسرع ما إلتقينا (يشير إلى أخوته مشرق الوجه) كأني أعرفهم من زمن طويل .

أبو عرب : كثيرون مثلنا في كل جزء من وطننا الفسيح يعيشون القصة ذاتها .. لم تستطع الحدود العارضة أن تقف عقبة أمام الفكرة الواحدة .. جميعهم صنعوا وقفة شعبنا العظيمة بعد النكسة ... وهم يقفون اليوم كل على ثغرة من عملنا يؤدي واجبه في المعركة المصيرية التي

نخوضها.

أبو عدنان : صدق أبو عرب .. فمعركتنا ليست هنا فحسب .. مداها في كل شبر من أرض الوطن ومجالها في كل جوانب حياتنا .. كان طبيعياً أن نلتقي .

أبو خالد : معركتنا متكاملة .. الجيش النظامي فيها يكمل عمل المقاومة .. والصمود الاقتصادي فيها يعزز الصمود العسكري .. والفكر فيها ينبع من الإيمان والواقع وينطلق من العلم ليقوم ويخطط .

أبو أسامة : والمقاومة ستبلغ مداها .. ومداها هو الثورة الشعبية الشاملة .. سنعمل على تصعيد المقاومة حتي نصل بشعبنا إلى الثورة لقد تجاوزنا عمليات خط النار لنصل إلى القلب ، ونحرم العدو مما يسميه الحياة الطبيعية الهادئة .. ستكون لنا عمليات في سهلنا الساحلي الخصيب .. في جبالنا الصلبة .. في صحرائنا الغالية .. سنأتي العدو من كل الجهات براً وبحراً .. ستصبح الثورة حياتنا اليومية ... الهواء الذي نتنفسه والغذاء الذي نتناوله. سنصبح جميعاً مقاومة وثواراً .. العامل والفلاح والتاجر.. الرجال والنساء .. أطفالنا أيضاً ..(يصمت *لحظة*) ستستمر رحلتنا حتى ندوخ العدو ونضرب الضربة الحاسمة .. من أجل هذا التقينا وكان حتماً ان نلتقي وسيلتقي بنا أحرار كثيرون من أوطان أخرى .

زينب : (*يتألق وجهها*) لقد حدث .. وكان لابد أن يحدث .قلبي كان يقول لي .. وهو لا يكذب (*تلتفت إلى الجد*) وفتانا

قال لي أيضاً وهو لا يكذب .. أتتذكر ياأبت ماقاله يحيى ؟ قال لقد باشرنا ياأماه .. وستكبر النواة يوماً بعد يوم .....و تتكاثر وتنتشر في المشرق والمغرب (*تنقل النظر بين الشباب*) نواة عربية تنبض بالإيمان تحمل النور وتنشر الضياء ، وترفع مع الأحرار على الحرية .

علـــــيّ : نعم .. حدث وكان لا بد أن يحدث .

زيـــــنب : (*متابعة تخاطب الجد*) لقد عرفتهم يا أبت .. (*تشير إلى الشبان*) خيل إلى أني رأيتهم من قبل .. وتذكرت ..نعم رأيتهم في الحلم الذي رويته لك .. إنهم هم أصحاب تلك الوجوه النضرة التي سارعت إلى ابني وأحاطت به .. ومدت له أيد قوية .. إنهم هم وجميعهم كما قال يحيى أبنائي .

علـــــيّ : نعم ياأم يحيى جميعهم أبناؤك .

زيـــــنب : (*تنظر ناحية النافذة*) إنه الصباح .. الشفق يبدو من بعيد .. ما أروعه والرؤية واضحة أمامي كل الوضوح.. ستستمر المقاومة وتتفجر ثورة شعبي . سنستكمل استعدادنا .. ونضرب الضربة .. ويلتقي جميع المؤمنين هنا في أرض اللقاء .

علـــــيّ : وستكون معركة فاصلة .. اسم جديد تتألق حروفه بالنور .. يفوق حطين وعين جالوت عظمة .

زيـــــنب : (*للشباب*) ويكون النصر .

(يسمع صوت صفير يأتي من بعيد) .

أبو أسامة : انتهت ساعات منع التجول .

زينب : نعم .. سأخرج في طلب أم الخير .. فهي تسكن على مقربة .. وسأرسلها لإحضار الطبيب .. وسأعد لكم الطعام والثياب .. (*تخرج من الباب المؤدي إلى داخل البيت*) .

أخت الرجال : (*تتجه إلى النافذة*) صباح جديد .. ماأجمله .. (*تلتفت إلى الشبان*) أخذنا قسطاً وافراً من الدفء والراحة .. ماألذ الدفء في شتاء بلادنا .

أبو أسامة : جددنا نشاطنا فلنتهيأ للإنطلاق (*لأبي عيسى*) سيكون عليك ياأبا عيسى أن ترافق الطبيب إلى المخبأ.. وتبقي هناك في انتظارنا مع أخينا أبي هاشم .. وتطلب من خولة أن تعود مع الطبيب وتنتظر أمر التكليف الجديد الذي سيصلها بالطريق المعتاد في غضون أسبوع .

أبو عيسى : (*باهتمام*) سأفعل ياأخي .

أبو أسامة : (*لأخت الرجال وأبي خالد*) ستنطلقان للمهمة التالية .. هل أنتما على استعداد ؟

أخت الرجال : نعم .

أبو خالد : نعم .

أبو أسامة : إننا نعلق أهمية خاصة على نجاحكما في هذه المهمة (*لأبي خالد*) لقد تم اختيارك يا أبا خالد باعتبارك من أكفأ عناصرنا وأكثرها خبرة .. (*لأخت الرجال*) وقدلبينا رغبتك الملحة بالمشاركة في هذه المهمة بالذات .. لقد زرت المكان ياأخت الرجال من قبل وعاينته جيداً وسيعاونكما ذلك ، بالمناسبة كيف اهتديت له ؟

أخت الرجال : مررت به قبل شهر حين زرت يافا ضمن الآلاف من أبنائها الذين سارعوا لرؤية الديار والبكاء على الأطلال .. (تتذكر) كنت متلهفة للوصول إلى بيتنا .. كان كبيراً ممتلئاً ينبض بالحياة حين غادرناه .. وكانت بيارتنا حوله مليئة بأشجار البرتقال وبأنواع الزهور .. زرعناها بأيدينا .. (*بمرارة*) وصلت ودخلت البيارة أولا فلم أجد زهوراً.. ووجدت شجر البرتقال يوشك أن يموت من الإهمال .. فسارعت إلى البيت فإذا البيت الكبير قد تحول إلى مستودع لجثث الموتى . . كان الموت يبرز من كل أركانه .. انفجرت باكية وأنا التي لا تبكي فبكى كل ما حولي معي .. تبدد حلمي الذي عشته عشرين عاماً .. وفهمت جيداً لماذا رفض والدي الشيخ بإصرار أن لا يزور أرضنا المغتصبة .وأقسم ألا يزورها إلا حرة طاهرة .. وفهمت أيضاً لماذا رفض شعبنا أي عرض للعيش في ظل الاحتلال ..(*تصمت لحظة*) سارعت إلى الخروج وسلكت طريقاً جانبياً فمررت بمصنع الذخيرة وتعرفت عليه من خلال المحاضرات التي تلقيناها .. فحرصت على جمع المعلومات اللازمة وتقدمت باقتراحي للقيام بالعملية .. وأنا أرجو من الله التوفيق .

أبو أسامة : بالتوفيق الكامل ياأختاه (*لأبي درويش وأبي عدنان*) وأنتما ياأبا درويش وياأبا عدنان تذكران مهمتكما (*يهزان رأسيهما*) أود التأكيد على ضرورة استخدام المواصلات العامة .

أبو درويش : اطمئن سنستقل إحدى سيارات الرحلات في جولة في شمال البلاد .

أبو عـدنـان : وسأصمت طيلة الرحلة .. حتي نصل الجولان .. سأستمع لأبـي درويش كل الوقـت . (*يظهـر الأب حسن في أعلى السلم لابساً رداء الغرفة .. تبدو عليه آثار الدهشة ويمكث ساكناً*) .

أبـو درويـش : وستـجري اتصـالاتنا بالخـلايا أولاً .. ثم نقـوم بالعمليات .وموعدنا اللقاء في القاعدة بعد أربعة أيام .

أبو أسـامة : وفقكم الله (*لأبـي عرب*) سنبقي معاً ياأبا عرب .. وسنقوم بجوله على قواعدنا وقد كلفت أن أكون تحت تصرفك في كل ما يتعلق بالبناء التنظيمي .

أبو عـــرب : أنا على استعداد ياأخي .. أرجو أن يوفقنا الله في العمل الطويل المدي وسنبذل قصاري جهدنا .

أبو أسـامـة : ستكون ثماره حين ينضج رائعة .

(*ينزل الأب حسن على السلم فيلتفت الجميع ناحيته .. ثم يتقدم ضابطاً انفعالاته*)

حـــسـن : (*بصوت بارد .. يبدو عليه الإجهاد*) أهلاً وسهـلاً ..زيارة مبكرة .. (*يلتفت إلى الجد*) من الشباب ؟

علـــيّ : أبناء بلد شرفوا بيتنا .

أبو أسـامة : (*ينقل نظره بين الأب وبين صورته المعلقة*) ضيوف قدمنا مع الفجر .

حـــسـن : يظهر أنكم من .. (*يتردد لحظة في لفظ الاسم*)

أبو أسـامـة : (*مبادراً*) نعم نحن من الفدائيين وقد اضطررنا للجوء إلى

بيتكم .ولم نشأ أن نخفي هويتنا .

حـــــسن : لجأتم فراراً من عمليات التفتيش التي تجري في المنطقة منذ انفجارات الأمس (*يشوب صوته رنة خاصة وترتسم في عينيه نظرة خاصة*) .

أبو أسامة : لم نشأ أن نصطدم بالعدو أثناء عمليات التفتيش (*يبادل اخوانه نظرة سريعة*)

حـــــسن : (*يبدو عليه التفكير للحظة .. ويتوتر وجهه ثم تلمع عيناه وتنبسط أساريره*) عين العقل .. عين العقل ما صنعتم .. أهلاً وسهلاً ... ما الذي نستطيع أن نقدمه لكم ؟ لقد مارسنا النضال طويلاً .. ونعرف جيداً أن متطلباته كثيرة .. كلنا فدائيون (يبتسم) ماذا تطلبون ؟

أبو أسامة : هذا كرم منك ياسيدي .. لقد غمرنا هذا البيت بكرمه .

حـــــسن : بل تطلبون .

أبو أسامة : طلبنا .. وذهبت أم يحيى لترسل في طلب الطبيب وتهيىء لنا حاجتنا من الطعام واللباس وسنغادر بعد قليل .

حـــــسن : (باهتمام) طبيب ؟

أبو أسامة : نعم فقد خلفنا وراءنا جريحاً ينتظر .

حـــــسن : لا بد أن حالته تستوجب العجله .

أبو أسامة : الحالة ليست خطيرة .. وقد قمنا بالإسعافات الأولية .ولكن السرعة مطلوبة .

حـــــسن : لعل أم يحيى أرسلت أم الخير .. (*يهز رأسه*) أخشي أن تتأخر عليكم (*يسير جيئة وذهاباً*) وستجري اليوم عملية تفتيش يصاحبها استجواب ، وقد تتعرض أم الخير لها

فلا تعرف كيف تتصرف .. هل هي تعرف بوجودكم هنا ؟

أبو أسامة :إنها لم ترنا .. ولا أدري إذا كانت أم يحيى أخبرتها .

حسن :(*متابعاً إثارة الموضوع بضغط*) ماذا ستقول أم الخير إذا سئلت عن الغرض من حضور الطبيب ؟ (ينظر في وجوه الشبان .. وينظر الشبان في وجوه بعضهم بعضاً ويبدو عليهم عدم الارتياح بينما يتابع الأب مبدياً الإخلاص) إن أي خطأ مهما صغر قد يودي بكم وبنا .. نعم سيودي بنا جميعاً .. أنتم لا تجهلون العقوبة التي ستنزل بنا (يصمت *لحظة*) الأفضل أن أذهب بنفسي لإخطار الطبيب .. سألحق بها في الطريق فمعي سيارتي .. أعتقد أن ذلك أفضل(ينظر في وجه أبي أسامة) .

أبو أسامة :إن رأيت أن ذهابك أضمن فنحن شاكرين .. أنت أدري.

حسن :سأعود بعد قليل .وأنتم هنا في بيتكم (ينتبه إلى ثيابه) ليس هناك وقت لتبديل ثيابي ثم أني سأكون في السيارة ومعي طبيب .. سأعود بعد قليل (يخرج من الباب الرئيسي ويسمع صوت سيارة تتحرك ويسود الصمت لحظة)

أخت الرجال :(*تقطع الصمت*) كأني أعرفه .

(*يلتفتون إلى الجد فيبدو ساهماً يسبح .. ثم تدخل الأم مسرعة من الباب المؤدي لداخل البيت وتبدو على وجهها أمارات الجد)*

زينب :(*تسارع إلى النافذة فتطل منها وتعود إلى وسط الصالة)* سيارة تنطلق من البيت ..أيكون هو ؟ (*تنظر إلى* صورة

الأب) لماذا خرج ؟

أبو أسامة : خرج ليلحق بأم الخير خوفاً من أن تتعرض : لاستجواب أو تفتيش فينكشف الأمر .. سيأتي هو بالطبيب .

زينب : (*ساهمة*) هذا يعني أنه تحدث معكم .

أبو أسامة : نعم (*يلاحظ قلقها*) ولم نخف هويتنا عنه .. أليس هو سيد البيت ؟

زينب : (*لا تجيب وتسير جيئة وذهاباً ، وتنقل نظرها بين صورة المسجد الأقصى وصورة الأب .. ويبدو عليها وكأنها تعاني صراعاً قوياً في داخلها*) .. ماذا أفعل ؟ (*تتجه إلى الجد*) ماذا أفعل ؟ .. أجبني يا أبت .. أنت أدري من الجميع به (يبقي *الجد صامتاً*) الشك يعتمل في قلبي .. يأكله أكلاً .. (لنفسها) لم أعد أستكبر الشك .

الشبان : (جميعاً) : الشك ؟؟

زينب : أحس بنذر حدث خطير .. (*للجد*) قلبي لا يكذبني يأأبت.

عليّ : (*يرفع صوته بالتسبيح*)سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

زينب : (*تتجه إلى مقدمة المسرح*) رباه .. ماذا أفعل ؟ ماذا أقول؟ لقد وعد بأن يفكر بما قاله له يحيى .. فأين رسي به تفكيره؟ هل سيذهب حقاً ليأتي بالطبيب فتكون بداية جديدة يتطهر فيها ويتوب ؟ ما أسعدني لو فعل .. وباب التوبة مفتوح .. (*يتحول صوتها من الأمل إلى الألم*) أم يصل به الأمر إلى

أبو أسامة : (يتقدم إلى الأم)إلى التبليغ عنا يا أم يحيى .. ونحن في بيته ؟!

زيـــــنب : (*لأبي أسامة*) إنه يحمل أفكاراً غير أفكارنا .. وإلى ما قبل سنوات كان يدعو لإقامة الدويلة وللتعاون مع العدو .. وفقاً لاجتهاده كما كان يقول .. (*تصمت لحظة*) لقد بذل معه يحيى قصاري جهده ليحوله عن طريقه إلى طريقنا فوعد بأن يفكر .. يجب أن نأخذ حذرنا ..

أبو أسامة : (*بقوة ترتسم في وجهه وعينيه*) يجب أن نأخذ حذرنا.

زيـــــنب : علمتني الأيام أن أي تفريط مهما صغر يأتي بنتائج سيئة.

أبو أسامة : (*لإخوانه*) فلنتهيأ بسرعة..(*يتحرك الشبان فيقوم الجالس ويستعد الواقف ويتحلقوا أبا أسامة*) علينا أن نعمل بهدوء وإحكام(يشير لأبي عيسي وأبي درويش وأبي عدنان) تسارعون إلى الجسر الذي عبرناه في بداية الطريق الضيق وتعملون اللازم فيه .. تأخذون العبوات من المكان الذي وضعناها فيه في الحديقة .. وترابطون بعد ذلك على مقربة من الجسر .

أبو عيسى ،

أبودرويش ،

أبو عدنان : (معاً) (*بوقفة استعداد*) مفهوم.

أبو أسامة : (*يتحول لأخت الرجال ولأبي خالد*) وأنتما تأخذان موقعاً متقدماً وتراقبان القادمين لتعطوا الإشارة المتفق عليها ..

سيكون أخوتكما بانتظارها .. لابد من التأكد قبل إعطاء الإشارة التي تدل على العدو .

أخت الرجال : (*بوقفة استعداد*) مفهوم .

أبو أسامة : (*لأبي عرب*) سنرابط معاً أنا وأنت في الحديقة أمام البيت .. (*للشبان جميعاً*) لن نغيرشيئاً في برامجنا التالية واللقاء في القاعدة الجنوبية وعليك يا أبا عيسي أن تتابع أمر الطبيب لأخينا الجريح .. (*يلتفت للأم*) شكراً يا أم يحيى .. شكراً ياأمنا (*يقبل يدها .. وتدمع عيناه*).

زينب : (*ضابطة أعصابها ومحاولة الابتسام*) لقد هيأت الطعام والثياب ..هناك باب خلفي يفضي إلى طريق مختصر للجسر .. سأدلكم عليه .. (*تتقدمهم إلى الباب المؤدي للبيت ..*)

أبو أسامة : (*للجد*) السلام عليكم يا أبتاه .... ادع لنا .

الشبان : (*معاً*) السلام عليكم يا أبتاه.(*تخرج الأم ويتبعها الشبان*

عليّ : (*يهز رأسه بالتحية ويرتل*) محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوارة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأة فآزره فاستغلظ فاستوي على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما .. (*يخفت صوته في آخر الآيات .. وتعتم الصالة .. ويمر فاصل زمني قصير*) .

(تضـاء الصـالة .. بنور الصـبـاح وتدخل زينب الأم ... فتتجه إلى النافذة ويبدو عليها أنها تتابع ما يجري عند الجسر باهتمام بالغ) .

زيـــــنب : *(بشيء من التوتر)* أري ثلاث سيارات تقترب من الجسر يا أبتاه .. سيارات عسكرية .. تري هل ستعبر الجسر ؟

(يسود الصمت لحظة .. ثم يسمع صوت انفجار قوي تهتز له جدران الصالة فتتحرك صورة المسجد الأقصي في موضعها وتسقط صورة الأب على الأرض فتتحطم).

عـلـــــــيّ : *(مسبحاً)* الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

زيـــــنب : *(من موقفها بجوار النافذة وبصوت مرتفع)* تحطم الجسر .. تحطم يا أبتاه .. تفجرت السيارات الثلاث .. تناثرت أشلاء .. والنار تشتعل فيـها *(تتجه إلى الجد)* نجـحت العملية .. ونجا فدائيونا من العدو .. *(في وسط الصالة بسـرور وقـوة)* نجـا أبنائي .. كلهم أبنائي يا يحـيى.. وستستمر المقاومة كما قلت يابني وتتفجر ثورة شعبنا .. سنستكمل استعدادنا .. و يلتقي الجميع هنا .. ستكون معركة فاصلة .. إسم جديد تتألق حروفه بالنور كحطين وعين جالوت .*(تلتفت إلى الجد)* ستكون أليس كذلك يا أبت ؟

عـلـــــــيّ : *(ينظر إلى بعيد)* نعم ستكون ولكن بعـد عناء رحلة .. رحلة طويلة.. طويلة .

زيـــــنب : *(تلتفت إلى الصورة المحطمة)* تري هل انتهى .. (بأسى)

تمنيت أن يرجع مع الطبيب .

علـــــيّ : نفذ السهم .. لم يكن هناك مفر .. وإنها البداية .

زيـــــنب : البداية ؟

علـــــيّ : لا جدوي من الأماني (*يردد رؤياه بصوت عميق*) ستسيل دماء غزيرة وتتغير اوضاع . سيشيب الطفل قبل الأوان وتجف الدموع في مآقي الأمهات ... ستتطهر ويفيق الرجل المضبوع .. فينازل الضبع .ويتقدم صلاح الدين الصفوف فيصل الجهاد الذروة ثم تكون المعركة الفاصلة .. سنولد من جديد .

زيـــــنب : كأنك تري ما تقول .

علـــــيّ : قدر لابد أن نواجهه .

زيـــــنب : (*تنظر إلى خيوط الصبح*) الصبح يتنفس .يوم أخر.ولادة جديدة .. كأني أبعث ثانية أشعر أن عندي رغبة ملحة في متابعة الصقور ولدي القدرة على بلوغ القمة نقول أنها البداية .. لتكن وسأتابع الرحلة بعد هذه الليلة الطويلة حتي أصل وسأصل ونلتقي جميعاً هنا في أرضنا المقدسة المحررة .

(يسدل الستار)

تصدر هذه الطبعة الثانية لمسرحية « **هذه الليلة الطويلة** » بعد مضي ربع قرن على تأليفها، ومضي عشرين سنة على صدور الطبعة الأولى، وقد دخل الصراع العربى الصهيوني الذي في إطاره تدور أحداثه مرحلة جديدة منذ انعقاد مؤتمر مدريد يوم ١٩٩١/١٠/٣٠.

قلت لنفسي قبل أن استجيب لفكرة إصدار هذه الطبعة «لقد شهدت السنوات الخمس والعشرون أحداثاً كثيرة، وتغيراً في عدد من المفاهيم، واختلافاً في زاوية النظر الى الماضى، ودخول جيل آخر الميدان. وطرأ أثناء هذه الفترة تطور في رؤية مؤلفها نفسه الذي كتبها وهو في شرخ الشباب بينما هو اليوم كهل على أبواب الشيخوخة». وانتهيت الى الاستجابة لأننى رأيت أن التطور الذي حدث في رؤية المؤلف بقي محكوماً بثوابت لم تتغير، يشاركه في التمسك بها كثيرون، كما رأيت أن من حق الجيل الجديد أن يتعرف على رؤية جيل سبقه، وأن يُطّل على بعض ما في الذاكرة التاريخية للأمة. ورأيت أن حدث انعقاد مؤتمر مدريد نفسه يدعونا الى تكثيف جهودنا لتحقيق تواصل العلم والمعرفة بين أجيالنا كي تنهض الأمة بمتطلبات الانتصار في هذا الصراع الممتد المفروض عليها. هذا فضلا عن أنني رأيتُ أن المسرحية عمل فني فكري يتضمن جوانب أخرى تتفاعل مع الزمن ايجابياً.

المؤلف

